

الكتاب : أخبار أبي تمام
المؤلف : الصولي

رسالة الصولي إلى مزاحم بن فاتك

ما جاء في تفضيل أبي تمام

وهو

نسبه

حبيب بن أوس الطائي صليبة، ومولده بقرية يقال لها جاسم، سيمر ذكرها في أخباره إن شاء الله.

فضله

حدثني محمد بن يزيد بن عبد الأكبر النحوي. قال: قدم عمارة بن عقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه، وكتبوا شعره، وسمعوا منه، وعرضوا عليه الأشعار، فقال له بعضهم: ها هنا شاعر يزعم قوم أنه أشعر الناس طراً، ويزعم غيرهم ضد ذلك، فقال: أنشدوني له، فأنشدوه:

عَدْتُ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ ... وَعَادَ قِتَاداً عِنْدَهَا كُلَّ مَرَقَدٍ
وَأُنْقَدَهَا مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ أَنَّهُ ... صُدُودٌ فِرَاقٍ لَا صُدُودٌ تَعَمُّدٍ
فَأَجْرَى لَهَا الإِشْفَاقَ دَمْعاً مُورِداً ... مِنَ الدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ خَدِّ مُورِدٍ
هِيَ البَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدٌ وَجْهَهَا ... إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدِّدِ
ثم قطع المنشد، فقال عمارة: زدنا من هذا، فوصل وقال:
ولكنني لم أحوِ وفراً مُجَمَّعاً ... فَفُزْتُ بِهِ إِلاَّ بِشَمْلِ مُبَدِّدٍ
ولم تُعْطِنِي الأَيَّامُ نوماً مُسَكِّناً ... أَلَدُّ بِهِ بَنُومٌ مُشَرِّدٍ

فقال عمارة: لله دره، لقد تقدم صاحبكم في هذا المعنى جميع من سبقه على كثرة القول فيه، حتى لجب الاغتراب، هيه! فأنشده:

وَطُولُ مُقَامِ المَرْءِ فِي الحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيَابِجَتِيهِ فَاغْتَرِبُ تَتَجَلَّدُ
فَأَنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً ... إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ

فقال عمارة: كمل والله، إن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، واطراد المراد، واستواء الكلام، فصاحبكم هذا أشعر الناس، وإن كان بغيره فلا أدري!

حدثني محمد بن موسى قال: سمعت علي بن الجهم ذكر دعياً فكفره ولعنه، وطعن على أشياء من شعره، وقال: كان يكذب على أبي تمام، ويضع عليه الأخبار، والله ما كان إليه ولا مقارباً له، وأخذ في وصف أبي

تمام، فقال له رجل: والله لو كان أبو تمام أخاك ما زاد على مدحك له، فقال: إلا يكن أحياناً بالنسب، فإنه أخ بالأدب والدين والمودة، أما سمعت ما خاطبني به:

إِنْ يُكْدِمُطَّرَفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا ... نَعْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءِ تَالِدِ
أَوْ يَحْتَلِفُ مَاءُ الْوِصَالِ فَمَاؤُنَا ... عَذْبٌ تَحْدَرُ مِنْ عَمَامٍ وَاحِدِ
أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا ... أَدَبٌ أَقَمَّنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ

سمعت أبا إسحاق الحري - رحمه الله - يذكر علي بن الجهم، وخبراً له مع أبي تمام، أظنه هذا أو ما يصححه، ولست أحفظه جيداً ولم أجده، لأني كتبت فيما أظن في كتب الحديث وسمعته يقول: كان علي بن الجهم من كملة الرجال. وكان يقال: علمه بالشعر أكثر من شعره، فانظر إلى تفضيل هذا الرجل لأبي تمام، مع تقدمه في الشعر والعلم به، وتفضيل عمارة بن عقيل له، والعلماء يقولون: جاء عمارة بن عقيل على ساقاة الشعراء.

ويصحح علم علي بالشعر ما جاء به عبد الله بن الحسين قال، قال لي البحري: دعاني علي ابن الجهم فمضيت إليه، فأفضنا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا أشجع السلمي، فقال لي: إنه يخلي، وأعادها مرات ولم أفهمها، وأنفت أن أسأله عن معناها، فلما انصرفت فكرت في الكلمة، ونظرت في شعر أشجع السلمي، فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولةً ليس فيها بيت رائع، فإذا هو يريد هذا بعينه، أنه يعمل الأبيات فلا يصيب فيها بيت نادر، كما أن الرامي إذا رمى برشقه فلم يصب فيه بشيء قيل أخلى. قال: وكان علي بن الجهم عالماً بالشعر.

حدثني أبو بكر هرون بن عبد الله المهلي قال: كنا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبع معاني فأخذها، فقال له رجل في مجلسه: ما من ذاك أعزك الله؟ قال، قلت:

إِنَّ أَمْرًا أَسْدَى إِلَى بَشَافِعٍ ... إِلَيْهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي لِأَحْمَقُ
شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْحَوَائِجِ إِنَّهُ ... يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يُخَلِّقُ
فقال له الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ قال، قال:

فَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلُومَ عَطَائِهِ ... وَلَقَيْتَ بَيْنَ يَدَيَّ مَرَّ سَوْأِهِ
وَإِذَا امْرُؤٌ أَسْدَى إِلَى صَنِيعَةٍ ... مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

فقال الرجل: أحسن والله، فقال: كذبت قبحك الله، فقال: والله لئن كان أخذ هذا المعنى وتبعته فما أحسنت، وإن كان أخذه منك. لقد أجاده فصار أولى به منك، فغضب دعبل وقام. قال أبو بكر: وشعر أبي تمام أجود، فهو مبتدئاً ومتبعاً أحق بالمعنى، ولدعبل خبر في شعره هذا مشهور أذكره بسبب ما قبله.

حدثني محمد بن داود قال، حدثني يعقوب بن إسحاق الكندي قال: كانت علي القاسم بن محمد الكندي وظيفة لدعبل في كل سنة، فأبطأت عليه، فكلمني فأذكرته بها، فما برح حتى أخذها فقال دعبل: إِنَّ أَمْرًا أَسْدَى إِلَيَّ بَشَافِعٍ

وذكر البيهقي. وقد تبع البحري أبا تمام، فقال في هذا المعنى:
وعطاء غيرك إن بذلت عنايةً فيه عطاؤك

حدثني أبو جعفر المهلب قال، حدثني ابن مهران قال، حدثني عبد الله بن محمد بن جرير قال: سمعت محمد بن حازم الباهلي الشاعر يصف أبا تمام، ويقدمه في الشعر والعلم والفصاحة، ويقول: ما سمعت لم تقدم ولا محدث بمثل ابتدائه في مرثيته:

أصم بك التاعي وإن كان أسمعا
ولا مثل قوله في الغزل:

ما إن رأى الأفواجم شمساً قبلها ... أفلت فلم تُعقبهم بظلام
لو يقدرون مشوا على وجناتهم ... وعيونهم فضلاً عن الأقدام

حدثني سوار بن أبي شراة قال، حدثني البحري قال: كان أول أمرني في الشعر، ونبهني فيه، أي صرت إلى أبي تمام وهو بمحص، فعرضت عليه شعري، وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلا قصده وعرض عليه شعره، فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت خلّة، فكتب لي إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالصدق، وقال: امتدحهم، فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول ما أصبته.

حدثني أبو عبد الله العباس بن عبد الرحيم الألويسي قال، حدثني جماعة من أهل معرة النعمان قال: ورد علينا كتاب أبي تمام للبحري: يصل كتابي على يدي الوليد بن عباد، وهو على بذذته شاعر فأكرموه. وسمعت أبا محمد عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحري، وقد اجتمعنا في داره بالخلد، وعنده محمد بن يزيد النحوي، وذكروا معنى تعاوره البحري وأبو تمام: أنت في هذا أشعر من أبي تمام، فقال: كلا والله ذاك الرئيس الأستاذ، والله ما أكلت الخبز إلا به، فقال له محمد ابن يزيد: يا أبا الحسن، تأبي إلا شرفاً من جميع جوانبك!.

حدثني أبو عبد الله الحسين بن علي قال، قلت للبحري: أيما أشعر، أنت أو أبو تمام؟ فقال: جیده خير من جيدي، ورديني خير من رديته. قال أبو بكر: وقد صدق البحري في هذا، جيد أبي تمام لا يتعلق به أحد في زمانه، وربما اختل لفظه قليلاً لا معناه، والبحري لا يختل.

حدثني أبو الحسن الكاتب قال: كان إبراهيم بن الفرج البندنجي الشاعر يجيئنا كثيراً، وكان أعلم الناس بالشعر، ويجيئنا البحري وعلي بن العباس الرومي، وكانوا إذا ذكروا أبا تمام عظموه ورفعوا مقداره في الشعر حتى يقدموه على أكثر الشعراء، وكل يقر بأستاذيته، وأنه منه تعلم، وقال: هؤلاء أعلم أهل زمانهم بالشعر، وأشعر من بقي.

حدثني أبو الحسن علي بن محمد الأنباري قال، سمعت البحري يقول: أنشدني أبو تمام لنفسه:

وسابح هطل التعداد هتان ... على الجراء أمين غير حوان
أظمى الفصوص ولم تظماً قوائمه ... فحل عينك في ظمان ريان
فلو تراه مشيحاً والحصى زيم ... بين السنايك من مثنى ووحدان

أَيَقْنَتَ إِن لَمْ تَبَيَّنْ أَنَّ حَافِرَهُمِنَ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانَ

ثم قال لي: ما هذا من الشعر؟ قلت: لا أدري، قال: هذا المستطرد، أو قال الاستطراد، قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يرى أنه يريد وصف الفرس، وهو يريد هجاء عثمان. فاحتذى هذا البحثري فقال في قصيدته التي مدح فيها محمد بن علي القمي ويصف الفرس أولها:

أهلاً بذلكم الخيال المقبل ... فَعَلَ الذي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ
ثم وصف الفرس فقال:

وَأَعْرَى فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مَحْجَلٍ ... قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَعْرَى مُحْجَلٍ

كاهيكلِ الْمُنْبِيِّ إِلَّا أَنَّهُ ... فِي الْحُسْنِ جَاءَ كصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ

يَهْوِي كَمَا تَهْوِي الْعُقَابُ إِذَا رَأَتْ ... صَيْدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الْأَجْدَلِ

مُتَوَجِّسٌ بِرِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا ... يُرِيانِ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلِ

وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صَبْغَهَا ... صَهْبَاءُ الدَّرْدَانِ أَوْ قُطْرُبُلِ

مَلِكِ الْعُيُونِ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِيَنَّهُ ... نَظَرَ احْبَبَّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمَقْبَلِ

مَا إِنْ يَعَافُ قَدَى وَلَوْ أَوْرَدَتْهُ ... يَوْمًا خَلَاتِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَلِ

وكان هذا عدواً للذي مدحه. فحدثني عبد الله بن الحسين وقد اجتمعنا بقرقيسياء قال، قلت للبحثري: إنك احتذيت في شعرك - يعني الذي ذكرناه - أبا تمام، وعملت كما عمل من المعنى، وقد عاب هذا عليك قوم، فقال لي: أيعاب علي أن أتبع أبا تمام، وما عملت بيتاً قط حتى أخطر شعره ببالي؟ ولكنني أسقط بيت الهجاء من شعري. قال: فكان بعد ذلك لا ينشده، وهو ثابت في أكثر النسخ.

حدثني محمد بن سعيد أبو بكر الأصبم قال، حدثني أحمد بن أبي فنن قال: حضرت أبا تمام وقد وصل بمائتي دينار، فدفعت إلى رجل عنده منها مائة، وقال: خذها. ثم قيل لي إنه صديق له، واستبنت منه خلةً فعدلته على إعطائه ما أعطى، وقلت: لو كان شقيقك ما عذرتك مع اضطراب حالك، فقال:

ذُو الْوُدِّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبِيِّ بِمَنْزَلَةٍ ... وَإِخْوَتِي أُشْوَةٌ عِنْدِي وَإِخْوَانِي

عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ أَدَابَهُمْ أَدْبِي ... فَهَمُّ وَإِنْ فُرِّقُوا فِي الْأَرْضِ جَبْرَانِي

أُرُوأِحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ ... أَجْسَامُنَا لِشَامٍ أَوْ خُرَّاسَانَ

قال ابن أبي فنن: وكان أبو تمام أحضر الناس خاطراً. وقد أجاد هذا المعنى إبراهيم بن العباس الصولي فقال:

أَمِيلُ مَعَ الدَّمَامِ عَلَى ابْنِ عَمِّي ... وَأَقْضِي لِلصَّدِيقِ عَلَى الشَّقِيقِ

أَفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي ... وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقُوقِ

وَإِنَّمَا تَلَقَّنِي حُرًّا مُطَاعًا ... فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ

حدثني أبو الحسن الأنصاري قال، حدثني ابن الأعرابي المنجم قال: كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل

انقضاء كلامه، كأنه كان علم ما يقول فأعد جوابه، فقال له رجل: يا أبا تمام. ولم لا تقول من الشعر ما

يعرف؟ فقال: وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال؟ فأفحمه. وحدثني أبو الحسين الجرجاني قال: الذي قال

له هذا أبو سعيدٍ الضريبر بخراسان، وكان هذا من علماء الناس، وكان متصلاً بالطاهرية. ولا أعرف أحداً بعد أبي تمام أشعر من البحترى، ولا أغض كلاماً، ولا أحسن ديباجةً، ولا أتم طبعاً وهو مستوى الشعر، حلو الألفاظ، مقبول الكلام، يقع على تقديمه الإجماع، وهو مع ذلك يلوذ بأبي تمام في معانيه. فأبي دليل على فضل أبي تمام ورياسته يكون أقوى من هذا؟.

قال أبو تمام:

يَسْتَنْزِلُ الأَمَلَ البَعِيدَ بِبِشْرِهِ ... بُشْرَى المُخِيلَةَ بالرَّبِيعِ المَغْدِقِ
وكَذَا السَّحَابُ قَلَمًا تَدْعُو إِلَى ... مَعْرُوفِهَا الرُّوَادَ مَا لَمْ تَبْرِقْ
فحسب هذا المعنى وكمله، ثم أوضحه في مكانٍ آخر واختصره فقال:
إنما البِشْرُ رَوْضَةٌ إِذَا أَعْقَبَ بَدَلًا فَرَوْضَةٌ وَغَدِيرُ

فما زال البحترى يردد هذا المعنى في شعره، ويتبع أبا تمام فيه، ويقع في أكثره دونه، قال في قصيدة يمدح بها رافعاً:

كَانَتْ بِشاشَتِكَ الأُولَى التي ابْتَدَأَتْ ... بالبِشْرِ ثم اقْتَبَلْنَا بعدها النِّعَمَا
كَالمُزْنَةِ اسْتَوْبَقَتْ أُولَى مَخِيلَتِهَا ... ثم اسْتَهَلَّتْ بِغُرُزٍ تَابَعَ الدِّيمَا

فاحتذى معانيه واقتصمها، فجذبت المعاني واضطرتته إلى أن حكى لفظه في هذا، فصار يشبه لفظ أبي تمام، ولفظ البحترى في أكثر هذه أسهل؛ ثم ردد هذا المعنى البحترى فقال واستعاره للسياق:

مُشْرِقٌ لِلنَّدَى وَمِنْ حَسَبِ السَّيِّ ... فِ لِمُسْتَلِّهِ ضِيَاءُ حَدِيدِهِ
ضَحَكَاتٍ فِي إِثْرِهِنَّ العَطَايَا ... وَبُرُوقِ السَّحَابِ قَبْلَ رُعودِهِ
ثم ردد المعنى وأسقط البشر منه وصير مكانه الرعد فقال في أبي الصقر:
يُؤَلِّيكَ صَدْرَ الأَيَّامِ قاصِيَةَ الغِنَى ... بِفَوَائِدِ قَدْ كُنَّ أَمْسَ مَوَاعِدَا
سَوَمَ السَّحَابِ مَا بَدَأَ بَوَارِقًا ... فِي عَارِضِ إِلا تَتَيْنَ رَوَاعِدَا
ثم ردد المعنى الأول بحاله، فقال في المعتز بالله وأحسن:

متهللاً طَلَّقَ إِذَا وَعَدَ الغِنَى ... بالبِشْرِ أَتَبَعَ بِشْرُهُ بِالنَّائِلِ
كَالمُزْنِ إِذْ سَطَعَتْ لَوَامِعُ بَرْقِهِ ... أَجَلَّتْ لَنَا عَن دِيمَةٍ أَوْ وَأَبِلِ

وهذا المعنى فإنما ابتدأه أبو نواس، فقال يمدح قوماً من قريش في أرجوزة وصف فيها الحمام:

بِشْرُهُمْ قَبْلَ النَّوَالِ اللَّاحِقِ ... كَالْبَرْقِ يَدُوقُ قَبْلَ جُودِ دَافِقِ
وَالغَيْثُ يُجْفِي وَقَعَهُ لِلرَّامِقِ ... مَا لَمْ تَجِدْهُ بِدَلِيلِ البَارِقِ

ومن تبحر شعر أبي تمام وجد كل محسنٍ بعده لائداً به، كما أن كل محسنٍ بعد بشارٍ لائداً ببيشار، ومنتسب إليه من أكثر إحسانه، قال أبو تمام:

فَسَوَاءٌ إِجَابَتِي غَيْرَ دَاعٍ ... وَدُعَائِي بِالقَاعِ غَيْرَ مُجِيبِ

فقال البحترى نسخاً له:

وسألت مَنْ لا يستجيبُ فكتتَ في اس ... تخياره كمجيبٍ مَنْ لا يسألُ
وقال أبو تمام:

إذا القصائدُ كانتُ من مدائِحِهِم ... يوماً فأنتَ لعمري من مدائِحِها
فقال البحرى:

ومَنْ يَكُنْ فاحِراً بالشعرِ يُذكرُ في ... أصنافِهِ فَبِكَ الأَشعارُ تفتنحُر
وقال أبو تمام:

وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فضيلةٍ ... طُويتُ أتاحَ لها لِسَانَ حَسُودٍ
فقال البحرى:

ولنَّ تَسْتينَ الدهرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ ... إذا أنتَ لم تُدَلِّ عليها بِحاسِدٍ
وقال أبو تمام:

بُخلٌ تدينُ بِحُلُوهِ وبِمِرِّهِ ... فكأنَّهُ جُزءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ
فقال البحرى:

وَتَدِينُ بِالْبُخْلِ حَتَّى خَلَّتَهُ ... فَرَضاً يُدانُ بِهِ الإلهُ وَيُعْبَدُ
وقال أبو تمام:

أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءُ الوِصَالِ فَمَاؤُنَا ... عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ واحِدٍ
وإنما أخذه أبو تمام من قول الفرزدق:

يا بشرُ أنتَ فتى قريشٍ كُلِّها ... ويشي وريشك من جناحٍ واحِدٍ
فقال البحرى:

وأقلُّ ما بيني وبينك أننا ... نرْمي القبايلَ عَن قَبيلٍ واحِدٍ
وقال أبو تمام:

ثَوَى بالمشرِقيِّنَ لهم صِجَاجٌ ... أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ المَغربِينَ
وإنما أخذه أبو تمام من قول مسلم:

لما نزلتَ على أذنى بلادِهِم ... ألقى إيلك الأَقاصي بالمقاليدِ
فقال البحرى:

غدا غَدوَةٌ بَيْنَ المِشارِقِ إِذْ غَدَا ... قَبْتُ حَرِيقاً في أَقاصي المَغارِبِ

وجاذبني يوماً بعض من يعصب على أبي تمام بالتقليد لا بالفهم، ويقدم غيره بلا دراية فقال: أيحسن أبو تمام أن يقول كما قال البحرى:

تَسرَّعَ حتى قال مَنْ شَهِدَ الوَغَى ... لِقَاءَ أَعادِ أُمِّ لِقَاءِ حَبائِبِ؟
فقلت له: وهل افض هذا المعنى قبل أبي تمام أحد في قوله:

حَنٌّ إلى المَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ ... بأنهُ حَنَّ مُشْتاقاً إلى وَطَنِ

ولولا أن بعض أهل الأدب ألف في أخذ البحرى من أبي تمام كتاباً، لكنت قد سقت كثيراً مثل ما ذكرنا،

ولكنني أكره إعادة ما ألف، وأجتنب أن أجتذب من الأدب ما ملك قبلي، إلا أنني سأتي بأبياتٍ من جملة ذلك تدل على جميعه إن شاء الله: قال أبو تمام:

شَهِدْتُ جَسِيمَاتِ الْعَلَا وَهُوَ غَائِبٌ ... وَلَوْ كَانَ أَيْضاً شَاهِداً كَانَ غَائِباً
فقال البحتري:

نَصَحْتُكُمْ لَوْ كَانَ لِلنُّصْحِ سَامِعٌ ... لَدَى شَاهِدٍ عَنِ مَوْضِعِ الْفَهْمِ غَائِبِ
على أن محمد بن عبيد الله العتبي قد قال:
قَوْمٌ حُضُورٌ غَائِبُونَ الْأَذْهَانَ لَيْسَ لَهَا قُفُولٌ

وقال أبو تمام:

فَإِنِ أَنَا لَمْ يَحْمَدَكَ عَنِّي صَاغِراً ... عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنِّي عَيْرٌ حَامِدٍ
فقال البحتري:

لِيُؤْصِلَتَكَ ذِكْرُ شِعْرِ سَائِرٍ ... يَرُويهِ فِيكَ لِحْسَنِهِ الْأَعْدَاءُ
وكأن هذا المعنى من قولهم: من فضل فلان أن أعداءه مجمعون على فضله، وقولهم: خير المدح ما رواه العدو والصديق.

وقال أبو تمام:

وَنِعْمَةٌ مُعْتَفِي جَدْوَاهُ أَحْلَى ... عَلَى أُذُنِيهِ مِنْ نَعْمِ السَّمَاعِ
فقال البحتري:

تَشْتَوَانُ يَطْرَبُ لِلسُّؤَالِ كَأَمَّا ... غَنَاهُ مَالِكُ طَيْبٍ أَوْ مَعْبُدٍ
وأول من أتى بفرح السؤال، وطلاقة وجهه، ثم أخذه الناس فولدوه فقالوا: السؤال أحلى عنده من الغناء، وراجيه أحب إليه من معطيه، زهير، قال:

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهَلِّلاً ... كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وقال أبو تمام:

وَمُجْرَبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ ... فَإِذَا لَقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَعْمَارُ
فأخذه البحتري فقال:

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ ... إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِرَافُ مُجْرَبٍ
فأما الذي نقله البحتري نقلاً، فأخذ اللفظ والمعنى، فقول أبي تمام يصف شعره:

مُنْزَهَةٌ عَنِ السَّرْقِ الْمُرِّيِّ ... مَكْرَمَةٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمَعَادِ
فقال البحتري يصف بلاغةً:

لَا يَعْمَلُ الْمَعْنَى الْمَكْرَرَةَ ... رَ فِيهِ وَاللَّفْظَ الْمَرْدَدُ
وقال أبو تمام:

البيدُ والعيسُ والليلُ التمامُ معاً ... ثلاثةُ أبدأ يُقَرَنُ فِي قَرْنِ

فقال البحرى:

اطلبنا ثالنا سواى فايي ... رابع العيس والدجى والبيد

وأخذ أبو تمام من قول ذي الرمة:

وليل كجلباب العروس ادرعته ... بأربعة والشخص في العين واحد

أحم علافي، وأبيض صارم ... وأعيس مهري، وأروغ ماجد

وقال أبو تمام:

تفيض سماحة والمزن مكد ... وتقطع الحسام العصب ناي

فقال البحرى:

يتوقدن والكواكب مطفأ ... ة ويقطن السيوف نواي

وقال الطائي:

لا تدعون نوح بن عمرو دعوة ... للخطب إلا أن يكون جليلاً

فقال البحرى:

يا أبا جعفر وما أنت بالمد ... عو إلا لكل أمر كبار

وقال أبو تمام:

ولقد أردتم مجده وجهدتم ... فإذا أبان قد رسا ويلملم!

فقال البحرى ونقله قظاً ومعنى:

ولن ينقل الحساد مجلك بعدما ... تمكّن رضوى واطمان متالع

وقال أبو تمام:

وتشرّف العليا وهل من مذهب ... عنها وأنت على المعالي قيم

فقال البحرى:

متقلّل الأحشاء في طلب العلاء ... حتى يكون على المعالي قيماً

وقال أبو تمام:

ويليس أخلاقاً كراماً كأنها ... على العرض من فرط الحصانة أذرع

فقال البحرى، ولم يستوف، وكذلك هو في أكثر ما ذكرت يقع دوناً:

قوم إذا لبسوا الدروع لموقف ... لبستهم الأخلاق فيه ذروعا

وقال أبو تمام:

وقد كان قوت الموت سهلاً فردة ... إليه الحفاظ المر والحلق الوعر

فقال البحرى:

ولو أنه استام الحياة لنفسه ... وجد الحياة رخيصة الأسباب

وهذا أيضاً من قول الآخر:

ولو أنهم فرّوا لكانوا أعزّة... ولكن رأوا صبراً على الموت أكرماً
وقال أبو تمام:

وما العرف بالتسويف إلا كخلة... تسليت عنها حين شطّ مزارها
فقال البحرى:

وكتت وقد أملتُ مرّاً لنائل... كطالب جدوى خلة لا توصل
ومما احتذى فيه البحرى أبا تمام، وقدر مثل كلامه فعمل معناه عليه، ما أخذه من قول أبي تمام:
همة تنطح النجوم وجدّ... ألف للحضيض فهو حضيض
فقال البحرى:

متحير بعزم قائم... في كل نازلة وجد قاعد
قال أبو تمام:

متوطئو عقبيك في طلب العلاء... والمجد ثمت تستوي الأقدام
فقال البحرى:

حزت العلاء سبقاً وصلّى ثانياً... ثم استوت من بعده الأقدام
وقال أبو تمام:

تندى عفتك للعفاة وتغدى... رفقاً إلى زوارك الزوار
فقال البحرى على تقديره:

صيف لهم يقري الضيوف ونازل... متكفل فيهم بئر التزل
وقال أبو تمام:

عطفوا الحذور على البذور ووكّلوا... ظلم السثور بنور حور همد
فقال البحرى:

ويض أضاءة في الحذور كأنها... بدور دجى جلت سواد الحناديس

حدثني عبد الله بن المعتز قال: حدثني أبو سعيد النحوي المعروف بصعودا عن أبي تمام الطائي قال: خرجت يوماً إلى سر من رأى، حين ولي الواثق، فلقيني أعرابي وقد قربت منها، فأردت أن أسأله عن شيء من أخبار الناس بها، فخاطبته، فإذا أفصح الناس وأفطنهم، فقلت: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر، قلت: كيف علمك بأمر المؤمنين؟ قال: قتل أرضاً عالمها، قلت فما تقول فيه؟ قال: وثق بالله فكفاه، أشجى العاصية، وقمع العادية، وعدل في الرعية، وأرعى كل ذي قلم خيانتة. قلت: فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد؟ قال: هضبة لا ترام، وجندلة لا تضام، تشخذ له المدى، وتجبل له الأشراك، وتبغى له الغوائل، حتى إذا قيل كأن قد، وثب وثبة اللذب، وختل ختل الضب. قلت: فما تقول في محمد بن عبد الملك؟ قال: وسع الداني شره، وقتل البعيد ضره، له كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب، ولا ندب محلب. قلت: فما تقول في عمرو بن فرج؟ قال: ضخم لهم مستعذب للدم. قلت: فما تقول في الفضل بن مروان؟ واستعذبت خطابه، قال: ذاك

رجل نشر بعد ما قبر، فعليه حياة الأحياء وخفته الموتى. قلت: فما تقول في أبي الوزير؟ قال: كبش الزنادقة الذي تعرف، ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله. سرح ورتع، فإذا هزه أمطر فأمرع؟ قلت: فابن الخصيب؟ قال: أكل أكلة نهم، فذرق ذرقة بشم. قلت: فما تقول في إبراهيم أخيه؟ قال: "أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون". قلت: فما تقول في أحمد بن إسرائيل؟ قال: لله دره، أي قلقل هو؟ غرس في منابت الكرم، حتى إذا اهتز لهم حصدوه. قلت: فما تقول في إبراهيم بن رياح؟ قال: أوبقه كرمه، وأسلمه حسبه، وله معروف لا يسلمه، ورب لا يخذله، وخليفة لا يظلمه. قلت: فما تقول في نجاح بن سلمة؟ قال: لله دره، أي طالب وتر، ومدرك ثار! يتلهب كأنه شعلة نار، له من الخليفة جلسة تزيل نعماً، وتحل نقماً. قلت: يا أعرابي، أين منزلك؟ قال: اللهم غفرًا، إذا اشتمل الظلام فحيثما أدركني الرقاد رقدت! قلت: فكيف رضك عن أهل العسكر؟ قال: لا أخلق وجهي بمسألتهم، أوأما سمعت قول هذا الفتى الطائي، الذي قد ملأ الدنيا شعره:

وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقت لي ماء وجهي أو حقت دمي

قلت: فأنا الطائي قائل هذا الشعر! فدنا مبادراً فعانقني وقال: لله أبوك، ألسنت الذي يقول:

ما جود كفاك إن جدت وإن بخلت ... من ماء وجهي إذا أخلقت عوض

قلت: نعم، قال: أنت والله أشعر أهل الزمان. فرجعت بالأعرابي معي إلى ابن أبي دؤاد، وحدثته بحدثه، فأدخله إلى الواثق، فسأله عن خبره معي، فأخبره به، فأمر له بمال، وأحسن إليه، ووهب له أحمد بن أبي دؤاد، فكان يقول لي: قد عظم الله بركتك علي.

حدثني محمد بن القاسم بن خلاد قال: انصرفت يوماً من عند ابن أبي دؤاد، فدخلت إلى محمد ابن

منصور فوجدت عنده عمارة بن عقيل، وكان خلا له، وهو ينشده قصيدة له في الواثق أولها:

عرف الديار رؤسومها قفر ... لعيت بها الأرواح والقطر

فلما فرغ منها قلنا له: ما سمعنا أحسن من هذه الرائية، أحسن الله إليك يا أبا عقيل! فقال: والله لقد عصفت رائية طائكم هذا بكل شعر في لحنها، قلنا له: وما هي؟ قال: كلمته التي هجا بها الأفشين، فقال

محمد بن يحيى بن الجهم: أنا أحفظها، فقال: هاكما فأنشده:

الحق أبلغ والسيوف عوار ... فحذار من أسد العرين حذار

فقال له عمارة: أنشدنا ذكر النار، فأنشد:

ما زال سير الكفر بين ضلوعه ... حتى اصطلى سير الزناد الواري

ناراً يساور جسمه من حرها ... لهب كما عصفت نصف إزار

طارت لها شعل يهدم لفحها ... أركانه هداماً بغير غبار

ففصلن منه كل مجمع مفصل ... وفعلن فاقرة بكل فقار

قال أبو بكر: إنما قال: وفعلن، فخص هذه اللفظة لقول الله جل وعز "تظن أن يفعل بها فاقرة"، ولقول

الناس: فعل به الفواقر، أي الدواهي:

رَمَقُوا أَعَالِي جِدْعِهِ فَكَأَنَّمَا ... وَجَدُوا الْهَيْلَالَ عَشِيَّةَ الْإِفْطَارِ

ثم ذكر المصليين فقال:

سُودَ اللَّبَاسِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ ... أَيَدِي الشُّمُوسِ مَدَارِعًا مِنْ قَارِ

بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ ... قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرَبِطِ النَّجَارِ

لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهْمُ ... أَبَدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ

جَهْلُوا فَلَمْ يَسْتَكْثِرُوا مِنْ طَاعَةٍ ... مَعْرُوفَةٍ بِعِمَارَةِ الْأَعْمَارِ

فقال عمارة: لله دره، لقد وجد ما أضلته الشعراء، حتى كأنه كان مخبوءاً له. قال محمد بن القاسم:

فاعتقدت في أبي تمام من ذلك اليوم أنه أشعر الناس، وما كان ذا رأي من قبل.

حدثني أبو العباس عبد الله بن المعتز قال: جاءني محمد بن يزيد المبرد يوماً فأفضنا في ذكر أبي تمام وسألته

عنه وعن البحري، فقال: لأبي تمام استخراجات لطيفة، ومعانٍ طريفة، لا يقول مثلها البحري، وهو

صحيح الخاطر، حسن الانتزاع، وشعر البحري أحسن استواءً، وأبو تمام يقول النادر والبارد، وهو المذهب

الذي كان أعجب إلى الأصمعي، وما أشبه أبا تمام إلا بغائص يخرج الدر والمخشلبة، ثم قال: والله إن لأبي

تمام والبحري من الخاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجد فيه مثله. قال أبو بكر: وقول أبي العباس

المبرد " ما أشبهه إلا بغائص " ، فإنما أخذه من قول الأصمعي في النابغة الجعدي: تجد في شعره مطرفاً

بآلاف، وكساء بواف.

حدثني عبد الله بن المعتز قال: كان إبراهيم بن المدبر يتعصب على أبي تمام ويحطه عن رتبته، فلاحاني فيه يوماً

فقلت له: أتقول هذا لمن يقول:

عَدَا الشَّيْبُ مُخْتَطَاً بِفَوْدَى خُطَّةٍ ... سَبِيلُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْبَعٌ

هُوَ الزُّورُ يُجْفَى وَالْمَعَاشِرُ يُجْتَوَى ... وَذُو الْإِلْفِ يُقْلَى وَالْجَدِيدُ يُرْفَعُ

لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضٌ نَاصِعٌ ... وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدٌ أَسْفَعُ

ولمن يقول:

فَإِنْ تُرِمَ عَنْ عُمُرٍ تَدَانِي بِهِ الْمَدَى ... فَخَائِكَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَنْزَعًا

فَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ لَأَقَى ضَرْبِيَّةً ... فَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْتَشَى فَتَقَطَّعًا

ولمن يقول:

خَشَعُوا لَصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ ... كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارٌ

فَالْمَشِيُّ هَمْسٌ، وَالنِّدَاءُ إِشَارَةٌ ... خَوْفَ انْتِقَامِكَ، وَالْحَدِيثُ سِرَارٌ

أَيُّمْنَا مَصْفُورَةٌ أَطْرَافُهَا ... بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارٌ

تَنْدَى عُفَاتِكَ لِلْعَفَاةِ وَتَعْتَدِي ... رُفْقًا إِلَى زُورِكَ الزُّورَارُ

قال: وأنشده أيضاً غير ذلك، فكأني - والله - ألقمته حجراً! قال أبو بكر: أما قوله " فقطعها ثم انثنى

فقطعا " فهو مأخوذ من قول البعيث:

وإنا لَنُعْطِي المَشْرِقِيَّةَ حَقَّهَا ... فَتَقَطَّعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ
ومن قوله أيضاً:

أَوْفَى بِهِ الدَّهْرُ مِنْ أَحْدَاثِهِ شَرَفًا ... وَالسَّيْفُ يَمِضِي مِرَارًا ثُمَّ يَنْقَصِدُ

وأما قوله: " والليالي كلها أسحار " فهو من قول عبد الملك بن صالح، وسأله الرشيد: كيف ليل منبج؟
فقال: سحر كله، وقد أحذه ابن المعتز فقال:

يَا رَبَّ لَيْلٍ سَحَرٍ كُلُّهُ ... مُفْتَضِحِ البُرِّ عَليْلِ النَّسِيمِ

ولو جاز أن يصرف عن أحدٍ من الشعراء سرقة، لوجب أن يصرف عن أبي تمام لكثرة بديعه واختراعه
واتكائه على نفسه، ولكن حكم النقاد للشعر، العلماء به، قد مضى بأن الشعارين إذا تعاورا معنىً ولفظاً أو
جماعهما، أن يجعل السبق لأقدمهما سناً، وأولهما موتاً، وينسب الأخذ إلى المتأخر، لأن الأكثر كذا يقع، وإن
كانا في عصر الحق بأشبههما به كلاماً، فإن أشكل ذلك تركوه لهما.

حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: جاءني فضل اليزيدي بشعر أبي تمام، فجعل يقرؤه علي، ويعجبني
من جهل مقداره. فقلت له: الذين جهلوه كما قال:

لَا يَدَهْمَتَكَ مِنْ دَهْمَانِهِمْ عَدَدٌ ... فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كُلُّهُمْ يَقْرَأُ

فقال لي: قد عابه جماعة من الرواة للشعر، فقلت: الرواة يعلمون تفسير الشعر ولا يعلمون ألفاظه، وإنما يميز
هذا منهم القليل، فقال: هذه العلة في أمرهم.

وكنا عند أبي علي الحسين بن فهم، فجرى ذكر أبي تمام فقال رجل: أيما أشعر: البحري أو أبو تمام؟ فقال:
سمعت بعض العلماء بالشعر - ولم يسمه - قد سئل عن مثل هذا فقال: وكيف يقاس البحري بأبي تمام،
وهو به، وكلامه منه، وليس أبو تمام بالبحري، ولا يلتفت إلى كلامه؟.

حدثني القاسم بن إسماعيل أو ذكوان قال: سمعت عمك إبراهيم بن العباس الصوي يقول: ما اتكلت في
مكاتبتني إلا على ما يجيله خاطري، ويجيش به صدري، إلا قولي: وصار ما كان يجرزهم يبرزهم، وما كان
يعقلهم يعتقلهم، وقولي في رسالة أخرى: فأنزلوه من معقل إلى عقال، وبدلوه آجالاً من آمال؛ فإني أملت في
قولي: " آجالاً من آمال " بقول مسلم بن الوليد:

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ ... كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ

وفي " المعقل والعقال " بقول أبي تمام، ثم أنشد:

فَإِنَّ بَاشِرَ الإِصْحَارِ فَالِيبِضِ وَالقَنَا ... قِرَاءَهُ وَأَحْوَاضُ المَنَايَا مَنَاهِلُهُ

وإن يَنْ حِيْطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ... أَوْلَيْكَ عَقَالَتُهُ لَا مَعَاقِلُهُ

وإلا فَأَعْلِمُهُ بِأَنَّكَ سَاحِطٌ ... وَدَعَاهُ فَإِنَّ الخَوْفَ لَا شَكَّ قَاتِلُهُ

يُبْمِنُ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ المَدَى وَقَامَتْ قِنَاةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ

هُوَ البَحْرُ مِنْ أَيِّ التَّوَاخِي أَتَيْتُهُفُلْجَتُهُ المَعْرُوفُ وَالجُودُ سَاحِلُهُ

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ... ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

ثم قال لي: أما تسمع يا قاسم؟ قلت: بلى والله يا سيدي، قال: إنه اخترم وما استمتع بخاطره، ولا نرح ركي

فكره، حتى اقتطع رشاء عمره.

حدثني أبو الحسين بن السخي قال، حدثني الحسن بن عبد الله قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام، وقد أنشده شعراً له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراء الكلام رعية لإحسانك، فقال له أبو تمام: ذاك لأني أستضي برأيك، وأرد شريعتك.

حدثني أبو عبد الله الحسين بن علي قال، حدثني سليمان بن وهب قال: رأيت أبو تمام وأنا أكتب كتاباً، فاطلع فيه ثم قال لي: يا أبا أيوب، كلامك ذوب شعري.

حدثني أحمد بن يزيد المهلي قال: سألت أبي عن أبي تمام فقال: سمعني أبي وأنا ألحى إنساناً في أبي تمام فقال لي: ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهما واحداً في أيام أبي تمام، فلما مات أبو تمام اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

حدثني أبو الحسن علي بن إسماعيل قال، قال لي البحرني: أول ما رأيت أبا تمام مرة ما كنت عرفته قبلها، أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد امتدحته بقصيدتي التي أولها:
أَأَفَاقَ صَبٍّ مِنْ هَوَىِّ فَأُفَيْقًا ... أَوْ خَانَ عَهْدًا أَوْ أَطَاعَ شَفِيقًا؟

فأنشدته إياها، فلما أتمتها سر أبو سعيد بما وقال: أحسن الله إليك يا فتى، فقال له رجل في المجلس: هذا - أعزك الله - شعر لي، علقه هذا فسبقني به إليك، فتغير وجه أبي سعيد وقال: يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به إلينا، ولا تحمل نفسك على هذا، فقلت: هذا شعر لي أعزك الله، فقال الرجل: سبحان الله يا فتى، لا تقل هذا، ثم ابتداءً فأنشد من القصيدة أبياتاً، فقال لي أبو سعيد: نحن نبلغ ما تريد، ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيراً لا أدري ما أقول، ونويت أن أسأل عن الرجل من هو؟ فما أبعدت حتى ردي أبو سعيد ثم قال: جنيت عليك فاحتمل، أتدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، فقم إليه، فقمته إليه فعانقته، ثم أقبل يقرظني ويصف شعري، وقال: إنما مزحت معك. فلزمته بعد ذلك وكثر عجبني من سرعة حفظه.

حدثني علي بن إسماعيل قال: كنت عند البحرني فأنشدته وهو كالمفكر:

أَحْلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ مَوَاقِعًا ... مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِمَنْ خُدُودًا
فَاطْلُبْ هُدُوءًا فِي التَّقَلُّبِ وَاسْتَشْرُ ... بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ السَّهَادِ هُجُودًا
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عِلَلِ السَّرِيِّ ... وَخُدَا بَيْتِ النُّومِ فِيهِ شَرِيدًا
طَلِبْتُ رِبْعَ رِبْعَةِ الْمُهَيِّ لَنَا ... وَوَرَدْنَا ظِلَّ رِبْعَةِ الْمَدُودَا
ذُهَلِيَّهَا مُرِيَّهَا مَطْرِيَّهَا ... يُمْنَى يَدَيْهَا خَالِدَ بْنَ يَزِيدَا
نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى ... نُورًا وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا
عُرْيَانًا لَا يَكْبُؤُ ذَلِيلٌ مِنْ عَمَى ... فِيهِ وَلَا يَبْغِي عَلَيْهِ شُهُودَا
شَرَفٌ عَلَى أَوْلَى الزَّمَانِ وَإِنَّمَا ... خَلَقَ الْمُنَاسِبَ أَنْ يَكُونَ جَدِيدَا
مَطْرٌ أَبُوكَ أَبُو أَهْلَةٍ وَأَيْلٍ ... مَلَأَ الْبَسِيطَةَ عُدَّةً وَعَدِيدَا

وَرثُوا الأَبُوَّةَ وَالْحَطُوظَ فَأَصْبَحُوا ... جَمَعُوا جُدُوداً فِي العُلَا وَجُدُوداً
إِنَّ القَوَافِي وَالمَسَاعِي لم تَزَلْ ... مِثْلَ النِّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ فَإِنَّ أَلْفَنَهُ ... بَالنَّظْمِ صَارَ قَلَائِدًا وَعُقُودَا

فقال: ما هذا؟ وهو فرع، فقلت له: ألا تعرفه؟ هذا لأبي تمام، فقال: أذكرتني والله وسررتني، لا تحسن هذا الإحسان أحد غيره.

حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: كنت عند الحسن بن وهب، فدخل إليه أبو سليمان داود ابن الجراح كاتب أبي إسحاق إبراهيم بن العباس، فسأله عن خبره فأخبره بما أراده، ثم قال: ناظر اليوم أبو إسحاق رجلاً في دولة بني أمية ودولة بني العباس - مدها الله - فقال له الرجل: أين مثل شعراء بني أمية الذين كانوا في زمانهم؟ فقال له أبو إسحاق: إن كانت دولة بني أمية حلبة الشعراء فدولة بني هاشم حلبة الكتاب، فقال الحسن: ما يترك أبو إسحاق عصبيته للأوائل من الشعراء، والله ما كان في دولة بني أمية مثله، هلا قال: أنا أعد شعراء هذه الدولة، فعد كتاب تلك الدولة؟ ثم أقبل علينا الحسن فقال: أما البلاغة في الكتابة فما ينازع أهل هذه الدولة فيها، وأما الشعر فلا أعرف - مع كثرة مدحي له وشغفي به في قديمه ولا حديثه - أحسن من قول أبي تمام في المعتصم بالله، ولا أبداع معاني، ولا أكمل مدحاً، ولا أعذب لفظاً، ثم أنشد:

فَتَحُّ الفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الحُطْبِ
قال أبو بكر: ما سمعت " تعالی " إلا في هذا الخبر، والناس يروونه " المعلى "
فَسَحُّ تَفْتَحُ أَبْوابُ السَّماءِ لَهُ ... وَتُبْرُزُ الأَرْضُ فِي أBRادِها القُشْبِ
يا يَوْمَ وَقَعَةَ عَمُورِيَّةَ انصَرَفَتْ ... عَنكَ المَتى حُفَّلاً مَعسُولَةَ الحَلْبِ
أَبْقَيْتَ جَدَّ بِنِي الإسلامِ فِي صَعَدِ ... وَالمَشْرُكِينَ وَدارَ الشَّرْكِ فِي صَبَبِ
أُمَّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَنَدَى جَعَلُوا ... فداءها كُلَّ أُمَّ مِنْهُمْ وَأَبِ
وَبَرزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِياضَتُها ... كَسَرى وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنِ أبي كَرَبِ

من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد ... شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
بكرٌ فما افتَرَعَتْها كَفُّ حادِثَةٍ ... وَلا تَرَقَّتْ إِلَيْها هِمَّةُ التُّوبِ
جَرى لها الفالُ بَرِحاً يَوْمَ أَنْقَرَةَ ... إِذْ غُودِرَتْ وَحِشَّةُ السَّاحاتِ وَالرَّحَبِ
لما رَأَتْ أختَها بالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ... كانَ الخرابُ لها أَعْدِي مِنَ الجَرَبِ
لقد تَرَكْتَ أميرَ المُؤمِنينَ بِها ... لِلنَّارِ يَوْمًا ذليلَ الصَّخْرِ وَالخَشَبِ
غادرتَ فِيها بِهِمَ الليلِ وَهُوَ ضُحى ... يَشْئَلُهُ وَسَطَها صَبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
حتى كانَ جَلابِيبَ الدُّجى رَغَيْتُ ... عَنِ لَوْنِها وَكانَ الشَّمْسُ لم تَعْبِ
ضوءٌ مِنَ النارِ وَالظُّلْماءُ عاكِفَةٌ ... وَظُلْمَةٌ مِنَ دِخانِ فِي ضُحى شَجِبِ
قال أبو بكر: كذا قال أبو مالك - ضوء - ، والرواية - صبح -

فالشمسُ طالعةٌ من ذا وقد أَفَلَتْ ... وَالشَّمْسُ واجِبَةٌ مِنْ ذا وَلَمْ تَجِبِ

ما رَبُّعُ مِيَّةٍ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ ... غَيْلَانُ أَبْهَى رُبِّيَ مِنْ رَبْعِهَا الْحَرْبِ
 وَلَا الْخُدُودُ وَلَوْ أَدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ ... أَشْهَى إِلَى نَاطِرٍ مِنْ خَدِّهَا التَّرْبِ
 سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنْهَا الْعَيُونُ بِهَا ... عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ أَوْ مَنْظَرَ عَجَبِ
 وَحُسْنٍ مُنْقَلَبٍ تَبَقَّى عَوَاقِبُهُ ... جَاءَتْ بِشَاشَتَهُ مِنْ سُوءٍ مُنْقَلَبِ
 تَدْبِيرٍ مَعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ ... لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَعِبِ
 لَمْ يَوْمَ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدِ إِلَى بَلَدٍ ... إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
 لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلِ لَجِبِ
 لَمَا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنَتَوِ فِلَسُو الْحَرْبِ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
 وَبِي وَقَدْ أَلْجَمَ الْحَطِيَّ مَنَاطِقَهُ ... بِسَكْنَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ
 بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
 إِنْ كَانَ بَيْنَ مَرُورِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ ... مَوْصُولَةٍ وَذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ
 فَبَيْنَ أَيِّهِكَ اللَّائِي نُصِرَتْ بِهَا ... وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبِ النَّسَبِ

ثم قال: هل وقع في لفظه من هذا الشعر خلل؟ كان يمر للقدماء بيتان يستحسنان في قصيدة فيجلون بذلك، وهذا كله بديع جيد.

قال أبو أحمد: وما رأيت أحداً في نفس أحدٍ أجل من أبي تمام في نفس الحسن بن وهب. قال: وكان الحسن يحفظ أكثر شعر أبي تمام كأنه يختار من القصيدة ما يحفظه.

وقيل لأبي تمام: مدحت دينار بن يزيد! فقال: ما أردت بمدحه إلا أن أكشف شعر علي بن جبلة فيه، فقلت: مهارة التَّفَا لولا الشَّوَى وَالْمَآبِضُ ولم يمدحه بغيرها.

حدثني به علي بن إسماعيل قال، حدثني علي ابن العباس الرومي قال، حدثني مثنى قال: دخلت على أبي تمام وقد عمل شعراً لم أسمع أحسن منه، وفي الأبيات بيت واحد ليس كسائرهما، وعلم أبي قد وقعت على البيت، فقلت له: لو أسقطت هذا البيت! فضحك وقال لي: أترك أعلم بهذا مني؟ إنما مثل هذا مثل رجل له بنون جماعة، كلهم أديب جميل متقدم، فيهم واحد قبيح متخلف، فهو يعرف أمره ويرى مكانه، ولا يشتهي أن يموت، ولهذا العلة وقع مثل هذا في أشعار الناس.

حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: لما قدم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه فقالوا: نسمع شعر هذا العراقي، فسألوه أن ينشدهم، فقال: قد وعدني الأمير أن أنشده غداً وستسمعون، فلما دخل على عبد الله أنشده:

هُنَّ عَوَادِي يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ ... فَعَزَمًا فَقَدِمًا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ
 فلما بلغ إلى قوله:

وَقَلَّلَ نَائِيٍّ مِنْ خِرَاسَانَ جَاشَهَا ... قَعَلْتُ اطْمِنِّي أَنْضُرُ الرُّوْضِ عَازِبُهُ
 وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِيَّةِ عَرَسُوا ... عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ غِيَاهِبُهُ

لأمر عليهم أن تيمَّ صدوره ... وليس عليهم أن تتمَّ عواقبه
على كلِّ روادٍ الملائطِ تهدمت ... عريكته العلياء وانضمَّ حالبه
رعته الفيافي بعد ما كان حقبه ... رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

ويروى - رعته الصحارى - ، ويروى - رعته الفيافي - جمع فيفاة، فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس: ما
يستحق مثل هذا الشعر إلا الأمير أعزه الله، وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي: لي عند الأمير - أعزه الله -
جائزة وعدني بها، وهي له جزاءً عن قوله، فقال الأمير: بل نضعفها لك، وقوم بالواجب له. فلما فرغ من
القصيدة نثر عليه ألف دينار، فلقطها الغلمان ولم يمس منها شيئاً، فوجد عليه الأمير وقال: يترفع عن بري،
ويتهاون بما أكرمته به! قال فما بلغ بعد ذلك ما أراد منه.

قوله: " وركب كأطرافِ الأسنّة " ، مأخوذ من قول البيهث:
أطافت بشعثٍ كالأسنّة هُجْدٍ ... بخاشعة الأصواءِ غيرِ صُحُونِها
وهذان البيتان:

وركب كأطرافِ الأسنّة عرسوا ... على مثلها والليلُ داج غياهيبة
لأمرٍ عليهم أن تيمَّ صدوره ... وليس عليهم أن تتمَّ عواقبه
فهما منقولان من قول الشاعر:

غلامٌ وغيٌّ تفحّمها فأبلى ... فخان بلاءه دهرٌ خؤون
فكان على الفتى الإقدامُ فيها ... وليس عليه ما جت المون

حدثنا محمد بن يزيد الأزدي قال، سمعت الحسن بن رجاء يقول: ما رأيت أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديماً
وحديثة من أبي تمام.

حدثني الحسين بن إسحاق قال، سمعت ابن الدقاق يقول: حضرنا مع أبي تمام وهو ينتخب أشعار المحدثين،
فمر به شعر محمد بن أبي عيينة المطبوع، الذي يهجو به خالداً، فظفر فيه ورمى به، وقال: هذا كله مختار.
وهذا أدل دليل على علم أبي تمام بالشعر، لأن ابن عيينة أبعد الناس شبهاً به: وذلك أنه يتكلم بطبعه، ولا
يكذ فكره، ويخرج ألفاظه مخرج نفسه، وأبو تمام يتعب نفسه، ويكذ طبعه، ويظيل فكره، ويعمل المعاني
ويستنبطها؛ ولكنه قال هذا في ابن أبي عيينة، لعلمه بجيد الشعر أي نحو كان.

حدثني محمد بن موسى قال سمعت الحسن بن وهب يقول: دخل أبو تمام على محمد بن عبد الملك فأنشده
قصيدته التي أوتها:

هان علينا أن نقول وتفعلنا

فلما بلغ إلى قوله:

وجدناك أندى من رجال أناملاً ... وأحسن في الحاجات وجهاً وأجملاً

تضئ إذا اسودَّ الزمانُ وبعضهم ... يرى الموت أن ينهل أو ينهللاً

ووالله ما آتيك إلا فريضةً ... وآتي جميع الناس إلا تنفلاً

وليس امرؤ في الناس كنت سلاحه ... عشيةً يلقي الحادثات بأعزلاً

فقال له محمد: والله ما أحب بمدحك مدح غيرك لتجويدك وإبداعك، ولكنك تنغص مدحك ببذله لغير مستحقه، فقال: لسان العنر معقول وإن كان فصيحاً. ومر في القصيدة، فأمر له بخمسة آلاف درهم، وكتب إليه بعد ذلك:

رَأَيْتَكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلاً وَإِنَّمَا ... يُعَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِالْبَيْعِ بَانِعُهُ
فَأَمَّا إِذَا هَانَتْ بَضَائِعُ مَالِهِ ... فَيُوشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بَضَائِعُهُ
هُوَ الْمَاءُ إِنْ أَجْمَعْتَهُ طَابَ وَرُدُّهُ ... وَيُفْسِدُ مِنْهُ أَنْ تُبَاحَ شَرَائِعُهُ

حدثني أبو بكر أحمد بن سعيد الطائي قال: كان ابن عبد كان وإسماعيل بن القاسم - وهما علمان من أعلام الكتاب والأدب - يقولان: البحري أشعر من أبي تمام، قال: فذكرت ذلك للبحري، فقال لي: لا تفعل يا ابن عم، فو الله ما أكلت الخبز إلا به.

حدثنا عبد الله بن الحسين، قال حدثني البحري قال: سمعت أبا تمام يقول: أول شعر قلته
تَقَى جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤْتِي
ومدحت بها عيش بن هبيعة، فأعطاني خمسة آلاف درهم.

حدثني محمد بن عبد الله التميمي أبو عبد الله الحزنبلي قال، حدثني سعيد بن جابر الكرخي قال، حدثني أبي قال: حضرت أبا تمام، وقد أنشد أبا دلف قصيدته البائية التي امتدحه بها، وعنده جماعة من أشرف العرب والعجم، التي أولها:

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبٍ ... أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ اللَّمُوعِ السَّوَاكِبِ
أَمِيدَانِ لَهْوِي مَنْ أَتَاكَ لَكَ الْبَلَى ... فَأَصْبَحْتَ مِيدَانَ الصَّبَا وَالْجَنَابِ
فلما بلغ إلى قوله:

إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ بِي أبا دَلْفٍ فَقَدْ ... تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ
إِذَا مَا غَدَا أَعْدَى كَرِيمَةَ مَالِهِ ... هَدِيًّا وَلَوْ زُفْتُ لِأَلَامِ خَاطِبِ
وَأَحْسَنُ مِنْ نُورٍ يُفْتِحُهُ النَّدى ... بِيَاضِ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِ
إِذَا أَلْجَمْتَ يَوْمًا لَجِيمٌ وَحَوْهَا بَنُو الْحِصْنِ نَجَلُ الْمُحْصَنَاتِ النَّجَابِ
فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَا ... أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ
إِذَا افْتَحَرْتَ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا ... وَزَادَتْ عَلَى مَا وَطَّدَتْ مِنْ مَنَاقِبِ
فَأَنْتُمْ بِذِي قَارِ أَمَالَتْ سِيُوفَكُمْ مَعْرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرَهُنَّوَا قَوْسَ حَاجِبِ
مَحَاسِنٍ مِنْ مَجْدٍ مَتَى يَقْرُنُوا بِهَا ... مَحَاسِنِ أَقْوَامٍ تُكُنُّ كَالْمَعَابِ
مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي غُلُوِّ كَأَنَّمَا ... تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ
أخذ هذا علي بن الجهم فوصف الفوارة فقال:

وَفَوَارَةٍ ثَارَهَا فِي السَّمَا ... ءِ فَلَيْسَتْ تُقْصِرُ عَنْ ثَارِهَا

قال، فقال أبو دلف: يا معشر ربيعة ما مدحتهم بمثل هذا الشعر قط، فما عندكم لقائله؟ قال: فبادروه

بمطار فهم وعمائمهم يرمون بها إليه، فقال أبو دلف: قد قبلها وأعاركم لبسها، وسأنوب في ثوابه عنكم، تم يا أبا تمام، فلما بلغ إلى قوله:

ولو كان يقنى الشعر أفتأه ما قرت ... حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول إذا انثت ... سحائب منها أعقبت بسحائب

فقال أبو دلف: ادفعوا إلى أبي تمام خمسين ألف درهم، ووالله إنما لدون شعره، ثم قال له: ما مثل هذا القول إلا ما رثيت به محمد بن حميد، قال: وأي ذلك أراد الأمير؟ قال قولك:

وما مات حتى مات مضرِبُ سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه ... إليه الحفاظ المر والحلق الوعر

فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها: من تحت أخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد حشو رداه ... فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

يعزون عن ثاو تعزى به العلاء ... ويبيكي عليه الجود والبأس والشعر

وددت والله أنها لك في! فقال: بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي، وأكون المقدم قبله، فقال له: لم يمت من رثي بمثل هذا الشعر.

قال أبو بكر: ومن أعجب العجب، وأفزع المنكر، أن قوماً عابوا قوله:

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

فقالوا: أراد أن يمدحه فهجاه، كأن أهله كانوا خاملين بجياته، فلما مات أضاءوا بموته، وقالوا: كان يجب أن يقول كما قال الخريمي:

إذا قمر منه تغور أو خبا ... بدا قمر في جانب الأفق يلمع

ولا أعرف لمن صح عقله، ونفذ في علم من العلوم خاطره، عنراً في مثل هذا القول، ولا أعذر من يسمعه فلا يرده عليه، اللهم إلا أن يكون يريد عيبه، والظعن عليه. ولم يعرض من يذهب هذا عليه، لعلم الشعر والكلام في معانيه وتمييز ألفاظه؟ ولعله ظن أن هذا العلم مما يقع لأفطن الناس وأذكاهم من غير تعليم وتعبد شديد، ولزوم لأهله طويل، فكيف لأبلدهم وأغباهم؟ وليس من أجابه طبعه إلى فن من العلوم أو فنين أجابه إلى غير ذلك؛ قد كان الخليل بن أحمد أذكى العرب والعجم في وقته يجمع أكثر الناس، فنفذ طبعه في كل شيء تعاطاه، ثم شرع في الكلام فتخلفت قريحته، ووقع منه بعيداً، فأصحابه يحتجون عن شيء لفظ به إلى الآن.

وليت شعري، متى جالس هؤلاء القوم من يحسن هذا، أو أخذوا عنه، وسمعوا قوله؟ أتراهم يظنون أن من فسر غريب قصيدة، أو أقام إعرابها، أحسن أن يختار جيدها، ويعرف الوسط والدون منها، ويميز ألفاظها؟

وأي أمتهم كان يحسنه: الذي يقول وهو يهجو الأصمعي بزعمه:

إني لأرفع نفسي اليوم عن رجل ... ما شكله لي شكلاً بل هو التائي

فيه المعائبُ ما تَخْلُو وَحُقَّ له ... لأنه كاذبٌ يُدْعَى لكَذَابِ
لما التقينا وقد جدَّ الجِراءُ بنا ... جاءَ الجوادُ أَمَامَ الكَوْدَنِ الكابِي
أو الذي يقول في مجلس بعض أجراء الكتاب، وقد حلفه صاحب المجلس أن ينشده من شعره إن كان قال
شعراً، فاستغفاه فلم يزل به إلى أن أنشده لنفسه:
مَنْ يَشْتَرِي شَيْحاً بِلِرِّهِمَيْنِ ... قد شاخَ ثم دَرَّ مَرَّتَيْنِ
ليسَ له سِوَى ثَنِيَّتَيْنِ

فهذه أشعار أئمتهم، وما ظننت أن أحداً يتعلق بقليل الأدب يجهل هذا الذي عابوه على أبي تمام، ولا أن الله عز وجل يجوجني إلى تفسير مثله أبداً. وقد قالت الحكماء: لو سكت من لا يدري استراح الناس. وقالوا:
بكترة - لا أدري - يقل الخطأ. وقال بعض الأوتال: لقد حسنت عندي - لا أدري - حتى أردت أقولها
فيما أدري. وقال بعض الشعراء:

سَأَقْضِي بِحَقِّ يَتَّبِعُ النَّاسُ نَهْجَهُ ... وَيَنْفَعُ أَهْلَ الْجَهْلِ عِنْدَ ذَوِي الْخَيْرِ
إذا كنت لا تدري ولم تسأل الذي ... تُرَى أَنَّهُ يَدْرِي، فكيف إذن تدري؟
وأنا مفسر ذلك إن شاء الله.

يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " صلوات الله عليه " أن رجلاً ذكر له بعض أهل الفضل فقال له:
صدقت، ولكن السراج لا يضيء بالنهار، فلم يرد " رضوان الله عليه " أن ضوء السراج ليس حالاً فيه، ولا
أنه زالت عنه ذاته، ولكنه بالإضافة إلى ضوء النهار لا يضيء، ولم يطعن على ضوء النهار ولا على السراج،
ولكنه قال: فاضل وأفضل منه، وقال الشاعر وأحسن:

أصفراء كان الودُّ مِنْكَ مُباحاً ... ليالي كان الهجرُ مِنْكَ مُزاحاً
وَكُنَّ جِوَارِي الْحَيِّ إِذْ كُنْتَ فِيهِمْ ... قِباحاً، فلما غيبتِ صرناً ملاحاً
وما أراد إلا تفضيلها، ولم يطعن على أحد، والقباح لا يصرن ملاحاً في لحظة، ولكنه أراد أنهن ملاح، وهي
أملح منهن، فإذا اجتمعن كن دونها. وقال إبراهيم بن العباس الصولي:
ما كُنْتُ فِيهِنَّ إِلَّا كُنْتُ واسِطَةً ... وَكُنَّ دُونَكَ يُمَنَّاها وَيُسْرَها

أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى عن إبراهيم بن العباس، وأملي شعر إبراهيم إملاءً، وكان يستجيد هذا، ولم
يرد إبراهيم أن يذمهن وهن معها في نظم ولكنه فضلهما؛ فأراد أبو تمام تفضيله عليهم وإن كانوا أفاضل.
وليس ضياء البدر يذهب بالكواكب جملةً، ولا يتقل طبعها ولكن المستضيء به أبصر من المستضيء
بالكواكب، فإذا فقد البدر استضاء بهذه وهي دونه، فكأن أبا تمام قال: إن ذهب البدر منهم فقد بقيت
فيهم كواكب.

وقد أحسن الذي يقول:

وَلَسْتُ بِشَاتِمٍ كَعْباً وَلَكِنْ ... على كعبٍ وشاعرها السلامُ
بِنَاأَ اللهُ فَوْقَ بِنَا أَيْنَا ... كما يُبْنَى على الشَّجِ السَّنَامِ
وكائن في المعاشير من أناسٍ ... أخوهم منهم وهم كرامُ

فهذا المعنى الذي غراه أبو تمام، وقد نطق به النابغة بعينه؛ فلو لزم أبا تمام خطأ في هذا للزم النابغة، لأنه اعتذر إلى النعمان من ذهابه إلى آل جفنة ولم يذمهم، ولكنه فضله عليهم وشكرهم فقال:

ولكنني كنتُ امرءاً لي جانبٌ ... من الأرضِ فيه مُستَراذٌ ومُطَلَبٌ
مُلوِكٌ وإخوانٌ إذا ما أتيتُهُمُ ... أحمكُم في أموالِهِم وأقربُ

أما ترى كيف مدحهم ثم قال:

كفَعَلِكِ في قَوْمِ أراكِ اصطنعتَهُمُ ... فلم ترَهُم في شُكْرِ ذلكِ أذُنُوا

وهذا أحسن معارضةٍ وأوضح حجةٍ. يقول: لا تعب شكري لهؤلاء عندك، كما أنك إذا أحسنت إلى قومٍ

فشكروك عند أعدائك، فليس ذلك بذنب لهم، ثم فضله عليهم فقال:

ألم ترَ أن اللهَ أعطاكِ سُورَةَ ... ترى كُلَّ مَلِكٍ ذُوها يَتَذَنَّبُ

بأنك شمسٌ والمُلوِكُ كواكبٌ ... إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كواكبٌ

وهذا مفسر بأشياء تقول إلى معنى واحدٍ وهو: فضلك عليهم كفضل الشمس على الكواكب. وقيل: أراد

أنك ما صلحت لي لم أحتج إلى هؤلاء وإن كان فيهم فضل، كما أن من أضاعت له الشمس لم يحتج إلى

انتظار ضوء الكواكب.

فحدثني القاسم بن إسماعيل قال، سمعت إبراهيم بن العباس يقول: لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني

ما نظمه النابغة ما جاء به إلا في أضعاف كلامه، وكان يفضل هذا الشعر على جميع الأشعار. وقد سبق

النابغة إلى هذا شعراء كندة فقال رجل يمدح عمرو بن هندٍ من كلمة:

تَكَادُ تَمِيدُ الأرضُ بالناسِ أنْ رأوا ... لَعَمْرُو بنِ هَندٍ عُصْبَةٌ وَهُوَ عَاتِبُ

هُوَ الشَّمْسُ وَافتَ يَوْمَ سَعِدٍ فَأَفْضَلَتْ ... على كُلِّ ضَوْءٍ والمُلوِكُ كواكبُ

أنشدها أبو محلم. وقد أتى أبو تمام بمعنى قول النابغة الذي فسره إبراهيم بن العباس نقلاً إلا أنه في الغزل:

وقالت أُنسَى البدرَ قلتُ تجلداً ... إذا الشمسُ لم تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ البَدْرُ

فهذا الذي أراده أبو تمام، وقال النجاشي:

نعمَ الفتى أنتِ إلا أنَّ بَيْنَكُما ... كما تفاضلَ ضوءُ الشمسِ والقمرِ

وأنشد أبو محلم لصفية الباهلية، وفيه غناء للغريض فيما أظن:

أخنى على مالكٍ ريبُ الزمانِ وهل ... يُبقي الزمانُ على شيءٍ ولا يندرُ

كُنَّا كأنجمٍ ليلٍ بينها قمرٌ ... يجُلُو الدُّجَى فَهَوَى من بيننا القَمَرُ

فهذا كلام أبي تمام ومعناه بعينه. وقال جرير يرثي الوليد بن عبد الملك:

إنَّ الخليفةَ قد وارتَ شمائلُهُ ... غبراءُ ملحودَّةٌ في جُولها زورُ

أَمسى بَنُوهُ وقد جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمُ ... مثلَ النجومِ هَوَى من بينها القَمَرُ

أفترى جريراً أراد أن يهجو الوليد، أو يقول إن بنيه زادوا بموته؟ وقال نصيب فأخذ معنى قول النابغة بعينه:

هُوَ البَدْرُ والناسُ الكواكبُ حَوْلَهُ ... وهل تُشبهُ البَدْرَ المضيءَ الكواكبُ؟

ثم قالوا: فهلا قال كما قال الخريمي:

إذا قمرٌ منهم تغورَ أو خبا ... بدا قمرٌ في جانب الأفق يلمع
فيجب على هذا أن يقال له: هلا قال الذي يقول:

عَفَتِ الدِّيارُ محلُّها فمقامُها

ألا هَبِّي بصَحِّكَ فاصْبِحينا

وهلا قال امرؤ القيس مكان:

قفا نيك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ

لخولةٍ أطلالُ بُرِّقَةٍ تَهَمِّدُ

لأن المعنى الذي أراده أبو تمام ليس ما أراد الخريمي: لأن أبا تمام قصد التفضيل في السؤدد، والخريمي أراد التسوية فيه، وأبو تمام يقول: مات سيد وقام سيد دونه، والخريمي يريد: مات سيد وقام سيد مثله. فكيف يستحسن قوم ذهب هذا عليهم أن ينطقوا في الشعر بحرف بعدما فهموه؟ على أنهم أعذر عندي ممن يسمع منهم ويحكي قولهم. وإنما احتذى الخريمي قول أوس بن حجر:

إذا مُقَرَّمٌ مِنَّا ذرا حَدُّنا بِهِ ... تَحَمَّطَ فينا نابُ آخرِ مُقَرَّمٍ

وهذا كما قال أبو الطمحان القيبي:

وإني من القومِ الذين هُمُ هُمُ ... إذا ماتَ منهم سيِّدٌ قامَ صاحِبُهُ

كواكبُ دَجَنٍ كلِّما غابَ كوكبٌ ... بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبُهُ
أضاءت لهم أحسابُهُم ووجوهُهُم ... دُجِّي الليلِ حتَّى نظمَ الجَزَعُ نايِقُهُ
وقال آخر:

خِلافةُ أهلِ الأرضِ فينا وراثَةٌ ... إذا ماتَ منا سيِّدٌ قامَ سيِّدٌ

وقال طفيل الغنوي:

كواكبُ دَجَنٍ كلِّما ائقَضَ كوكبٌ ... بدا وانجلت عنه الدُّجْنَةُ كوكبٌ
وقال آخر:

إذا سيِّدٌ منا مضى لسيِّله ... أقامَ عمودَ المجدِ آخرُ سيِّدٌ

فهذا الذي أراد الخريمي.

ولولا الثقة بأن أشباه هذا تم بهم فلا يعرفونها، فإن تكلفوها تكلموا فيها بالجهل، لصعب على أن يفهم هذا غير أهله، ومن يستحق سماع مثله. وهذه كتب جماعتهم من مضى وغبر، هل نطقوا فيها بحرفٍ من هذا قط، أو ادعوه، أو ادعاه مدع لهم، أو تعرضوا له؟ وفي هذا كفاية لمن خلع ثوب العصبية وأنصف من نفسه، ونظر بعين عقله، وتأمل ما قلت بفكره؛ فإن القلب بذكره وتخيُّله أنظر من العين لما فقدته ورأته، وقد أحسن ابن قنبر في قوله:

إن كنتَ لستَ معي فالذكرُ منك معي ... يراكِ قلبي وإن غيبتَ عن بصري

والعينُ تُبصرُ مَنْ تهوى وتفقده ... وناظرُ القلبِ لا يخلو من النظرِ

وكان هذا من قول بشار:

قالوا بسلمى تهذي ولم ترها ... يا بُعد ما غاوت بك الفكرُ
فقلتُ بعضُ الحديثِ يشغفني ... والقلب راءٍ مالا يرى البصرُ

وشبيه بهذا في الشناعة عيهم قوله:

لو خرَّ سيفٌ من العيوقِ مُنصلتاً ... ما كان إلا على هاماتهم يقعُ

وقد رواه قوم: " ما كان إلا على إيمانهم يقع " ولكننا نين صوابه وخطأ عائبه على الرواية الأولى. وهي عندي التي قال. إنما أراد أبو تمام: كل حربٍ عليهم ومعهم، وأن كل سيفٍ يقاتلهم ليسلبيهم عزهم؛ وفي مثل ذلك يقول رجل من بني أبي بكر بن كلاب، أنشدناه محمد بن يزيد النحوي:

ترضى الملوكة إذا نالت مقاتلنا ... ويأخذون بأعلى غاية الحسبِ

وكلُّ حيٍّ من الأحياء يطلُّنا ... وكلُّ حيٍّ له في قتلنا أربُ

والقتلُ ميتنا والصبرُ شيمتنا ... ولا تُراعُ إذا ما احمرت الشهبُ

وأراد مع ذلك أنهم لا يموتون على الفرش - والعرب تعبر بذلك - وأن السيوف تقع في وجوههم

ورؤوسهم لإقبالهم، ولا تقع في أقبائهم وظهورهم لأنهم لا ينهزمون، ولذلك قال كعب ابن زهير في قصيدته التي امتدح بها النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمنه بما بعد أن كان نذر دمه، وأولها:

بانت سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ ... متيمٌ إثرها لم يُفدَ مكبولُ

فقال فيها يمدح قريشاً:

لا يقع الطعن إلا في نحورهم ... ليس لهم عن حياض الموت تهليلُ

فلم لم يعيوا هذا الشعر على كعب، وقد سمعه النبي - عليه السلام - وأتاب عليه؟ حدثني محمد بن العباس

قال، حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: فخر رجل من ولد حبيب بن عبد الله بن الزبير فقال: أنا أعرق

الناس في القتل، قتل لي خمسة آباء متصلين. وقال آخر:

قومٌ إذا خطر القنا ... جعلوا الصدور لها مسالكُ

لبسوا القلوب على الدرؤ ... ع مظاهرين لدفع ذلك

حدثني أبو عمر بن الرياشي قال، حدثنا أبي عن الأصمعي عن أبي عمرو قال: لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل

أخيه مصعب وصبره في الحرب، قال: إنا والله لا نموت حبيجاً كما تموت بنو أمية، إنما نموت قعصاً بالرماح،

وتحت ظلال السيوف. فلو كان هذا عاراً ما فخر به. ومن غير بالموت على الفراش سهم ابن حنظلة قال

يعير طفيل بن عوف:

بحمدٍ من سينانك غيرِ دمٍ ... أبا قرآنٍ متَّ على مثال

ومما يروى للسموؤل وهو للحارثي:

تسيلُ على حدِّ السيوفِ نفوسنا ... وليست على غير الحديدِ تسيلُ

يُقربُ حُبُّ الموتِ آجالنا لنا ... وتكرهُه آجالهم فتطولُ

وما مات منا سيّد في فراشه ... ولا طُلّ منا حيثُ كان قبيلُ
وجعل آخر نفوسهم غذاءً للمنايا فقال:
وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا ... وتتركُ أخرى مرّةً ما تدوُّفها
لنا نُبعةً تهوى المنيةَ رعيها ... فقد ذهبتُ إلا قليلاً عروفاً

أخبار أبي تمام مع أحمد بن أبي دؤاد

حدثني أبو بكر بن الخراساني قال، حدثني علي الرازي قال: شهدت أبا تمام، وغلّام له ينشد ابن أبي دؤاد:
لقد أنست مسأوي كلّ دهرٍ ... محاسنُ أحمد بن أبي دؤادِ
فما سافرتُ في الآفاق إلا ... ومن جدواك رحلتي وزادي
مقيمُ الظنِّ عندك والأمانِي ... وإن قَلقتُ ركابي في البلادِ
فقال له: يا أبا تمام، أهذا المعنى الأخير مما اخترعته أو أخذته؟ فقال: هو لي، وقد ألمت بقول أبي نواس:
وإن جرت الألفاظُ منا بمدحةٍ ... لغيرك إنساناً فانت الذي نعي
قال أبو بكر: وكنت يوماً في مجلسٍ فيه جماعة من أهل الأدب والعصيبة لأبي نواس حتى يفرطوا، فقال
بعضهم: أبو نواس أشعر من بشار، فرددت ذلك عليه، وعرفته ما جهله من فضل بشار وتقدمه، وأخذ جميع
الحدثين منه، واتباعهم أثره، فقال لي: قد سبق أبو نواس إلى معانٍ تفرد بها، فقلت له: ما منها؟ فجعل كلما
أنشدني شيئاً جئت بأصله، فكان من ذلك قوله:
إذا نحن أنبينا عليك بصالحٍ ... فانت كما نُنتي وفوق الذي نُنتي
وإن جرت الألفاظُ يوماً بمدحةٍ ... لغيرك إنساناً فانت الذي نعي
فقلت: أما البيت الأول فهو من قول الخنساء:
فما بلغ المهذون للناس مدحةً ... وإن أطنبوا إلا الذي
(ص ١٤٣) ومن قول عدي بن الرقاع:
أنتي فلا ألو وأعلمُ أنه ... فوق الذي أنتي به
(ص ١٤٣) وأما البيت الثاني فمن قول الفرزدق لأيوب بن سليمان بن عبد الملك:
وما امرتني النفسُ في رحلةٍ لها ... إلى أحدٍ إلا إليك ضميرها
حدثني أحمد بن إبراهيم قال، حدثني محمد بن روح الكلابي قال: نزل على أبو تمام الطائي، فحدثني أنه
امتدح المعتصم بسر من رأي بعد فتح عمورية، فذكره ابن أبي دؤاد للمعتصم، فقال له: أليس الذي أنشدنا
بالمصيصة الأجنس الصوت؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن معه روايةً حسن النشيد، فأذن له، فأنشده راويته
مدحه له، ولم يذكر القصيدة، فأمر له بدراهم كثيرة، وصلك ماله على إسحاق بن إبراهيم المصعبي. قال أبو
تمام: فدخلت إليه بالصك، وأنشدته مديحاً له، فاستحسنه وأمر لي بدون ما أمر لي به المعتصم قليلاً وقال:
والله لو أمر لك أمير المؤمنين بعدد الدراهم دنائير لأمرت لك بذلك.
حدثني أبو علي الحسين بن يحيى الكاتب قال، حدثني محمد بن عمرو الرومي قال: ما رأيت قط أجمع رأياً من

ابن أبي دؤاد، ولا أحضر حجة، قال له الواقفي: يا أبا عبد الله رفعت إلى رقعة فيها كذب كثير، قال: ليس بعجب أن أحسد على منزلي من أمير المؤمنين فيكذب علي، قال: زعموا فيها أنك وليت القضاء رجلاً ضريباً، قال: قد كان ذاك، وكنت عازماً على عزله حين أصيب ببصره، فبلغني عنه أنه عمى من كثرة بكائه على أمير المؤمنين المعتصم، فحفظت له ذاك، قال: وفيها أنك أعطيت شاعراً ألف دينار، قال: ما كان ذاك، ولكني أعطيته دونها، وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير الشاعر، وقال في آخر: أقطع عني لسانه. وهو شاعر مداح لأمير المؤمنين مصيب محسن، ولو لم أرع له إلا قوله للمعتصم صلوات الله عليه في أمير المؤمنين أعزه الله:

فأشدُّ بمارونَ الخلافةَ إنه ... سَكَنَ لوَحْشَتِهَا ودارُ قَرَارِ
ولقد علمتُ بأنَّ ذلكَ مِعصَمٌ ... ما كنتَ تتركُه بغيرِ سِوَارِ
فقال: قد وصلته بخمسائة دينار.

قال: ودخل أبو تمام على أحمد بن أبي دؤاد، وقد شرب الدواء فأنشده:
أَعْقَبَكَ اللهُ صِحَّةَ البَدَنِ ... ما هِنَفَ الهَاتِفَاتُ في العُصْنِ

كيفَ وَجَدْتَ الدِّواءَ أَوْ جَدَكَ اللهُ ... شِفَاءً بِهِ مَدَى الزَّمَنِ
لا نَزَعَ اللهُ مِنْكَ صَالِحَةً ... أَبْلِيَّتِهَا مِنْ بِلَاتِكَ الحَسَنِ
لا زِلْتَ تُرْهِى بِكُلِّ عَافِيَةٍ ... تَجْتَنُّهَا مِنْ مَعَارِضِ الفِتَنِ
إنَّ بقاءَ الجِوَادِ أَحْمَدُ في ... أعناقنا مِنَّةً مِنَ المِنَنِ
لو أنَّ أعمارنا تُطَاوَعُنَا ... شَاطِرَةُ العُمَرِ سَادَةُ اليَمَنِ

حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالزائر قال: حدثني أبي قال: دخل أبو تمام على أحمد بن أبي دؤاد، وقد كان عبأ عليه في شيء فاعتذر إليه، وقال: أنت الناس كلهم، ولا طاقة لي بغضب جميع الناس! فقال له ابن أبي دؤاد: ما أحسن هذا فمن أين أخذته؟ قال: من قول أبي نواس:

وليسَ اللهُ بِمُسْتَنَكِرٍ ... أنْ جَمَعَ العالَمَ في وَاحِدِ

سمعت محمد بن القاسم يقول: قال ابن أبي دؤاد لأبي تمام: إن لك أبياتاً أنشدتها لو قلتها زاهداً أو معتبراً أو حاضاً على طاعة الله جل وعز لكنت قد أحسنت وبالغت فأنشدنيها، قال: وما هي؟ قال: التي قافيتها " فأَدْخُلَهَا " فأنشده:

قل لابن طَوْقٍ رَحَى سَعِدٍ إِذَا خَبِطَتْ ... نَوَائِبُ الدَّهْرِ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا
أَصْبَحْتَ حَاتِمَهَا جُوداً، وَأَحْنَفَهَا ... حِلْماً، وَكَيْسَهَا عِلْماً وَدَغَفَلَهَا
مالي أرى الحِجْرَةَ الفَيْحَاءَ مُقْفَلَةً ... عَنِّي وَقَدْ طالما اسْتَفْتَحْتُ مُقْفَلَهَا؟
كأنَّها جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةٌ ... وليسَ لي عَمَلٌ زَاكٌ فَأَدْخُلَهَا

حدثني عون بن محمد قال، حدثني محمود الوراق قال: كنت جالساً بطرف الحير حير سر من رأى، ومعني جماعة لئنظر إلى الخيل، فمر بنا أبو تمام فجلس إلينا، فقال له رجل منا: يا أبا تمام، أي رجل أنت لو لم تكن

من اليمين؟ قال له أبو تمام: ما أحب أني بغير الموضوع الذي اختاره الله لي، فممن تحب أن أكون؟ قال من مضر. فقال أبو تمام إنما شرفت مضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك ما قيسوا بملوكنا وفيينا كذا وفيينا كذا، ففخر وذكر أشياء عاب بها نفراً من مضر، قال: ونمي الخبر إلى ابن أبي دؤاد وزادوا عليه، فقال: ما أحب أن يدخل إلى أبو تمام، فليحجب عني، فقال يعتذر إليه ويمدحه:

سَعِدْتُ غُرْبَةَ النَّوَى بِسُعَادٍ ... فَهِيَ طَوَّعَ الْإِثْمَامَ وَالْإِنْجَادِ
شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّ ... أُسٍ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ
وَكَذَاكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ ... وَنَعِيمِ طَلَائِعِ الْأَجْسَادِ
طَالَ إِنْكَارِي الْبِيَاضَ وَإِنْ عُمَى ... مِرْتُ شَيْبًا أَنْكَرْتُ لَوْ أَنَّ السَّوَادِ
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَوْرَيْتَ زَنْدًا ... فِي يَدِي كَأَنَّ دَائِمَ الْإِصْلَادِ
أَنْتَ جَبَّتَ الظَّلَامَ عَنْ سَبِيلِ الْ ... آمَالِ إِذْ ضَلَّ كُلُّ هَادٍ وَحَادِي
وَضِيَاءُ الْأَمَالِ أَفْسَحَ فِي الطَّرِّ ... فِي وَفِي الْقَلْبِ مِنْ ضِيَاءِ الْبِلَادِ
ثم وصف قوماً لزموا ابن أبي دؤاد، وأنه أحظ به مع ذلك منهم، فقال:

لَزِمُوا مَرَكَزَ التَّدَى وَذَرَاهُ ... وَعَدْتْنَا عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ الْعَوَادِي
غَيْرَ أَنَّ الرَّبِّيَ إِلَى سَبِيلِ الْأَنْ ... وَآءِ أَدْنَى وَالْحِظُّ حِظُّ الْوَهَادِ
بَعْدَ مَا أَصَلَّتِ الْوُشَاةُ سَيْوِفًا ... قَطَعَتْ فِيَّ وَهِيَ غَيْرُ حِدَادِ
مِنْ أَحَادِيثَ حِينَ دَوَّخَتْهَا بِالرَّ ... أَي كَانَتْ ضَعِيفَةً الْإِسْنَادِ
فَنَفَى عَنْكَ زُخْرَفَ الْقَوْلِ سَمْعٌ ... لَمْ يَكُنْ فُرْصَةً لِعَبْرِ السَّدَادِ
ضَرَبَ الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ ... دُونَ غُورِ الْكَلَامِ بِالْأَسْدَادِ
وَحَوَانِ أَبَتْ عَلَيْهَا الْمَعَالِي ... أَنْ تُسَمَّى مَطِيَّةَ الْأَحْقَادِ

وقد أفصح عما قرف به، واعتذر منه إلى ابن دؤاد، فقال وهو عندي من أحسن الاعتذار:

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبِيلَ الْعِهَادِ ... وَرَوَّضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِي
ثم قال:

وَإِنْ يَلِكُ مِنْ بَنِي أُدَدٍ جَنَاحِي ... فَإِنَّ أَثِيثَ رِيشِي فِي إِيَادِ
لَهُمْ جَهْلُ السَّبَاعِ إِذَا الْمَتَايَا ... تَمَشَّتْ فِي الْقَنَا وَحُلُومُ عَادِ
لَقَدْ أَنْسَتُ مَسَاوِيَّ كُلِّ دَهْرٍ ... مَحَاسِنُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادِ
مَتَى تَحَلَّلْ بِهِ تَحَلَّلْ جَنَابًا ... رَضِيْعًا لِلسَّوَارِي وَالْعَوَادِي
فَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا ... وَمِنْ جَدْوَالِكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
مَقِيمِ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي ... وَإِنْ قَلِقْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
وهذا من قول أبي نواس:

وَإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِدْحَةٍ ... لِعَبْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

مَعَادُ الْبُعْثِ مَعْرُوفٌ وَلَكِنْ ... نَدَى كَفَيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعَادِي
أَتَانِي عَائِرُ الْأَنْبَاءِ تَسْرِي ... عَقَابُهُ بِدَاهِيَةِ نَادٍ
بَأَنِّي نَلْتُ مِنْ مُضَرٍّ وَخَجَّتْ ... إِلَيْكَ شَكَايَتِي حَبَّ الْجَوَادِ
لَقَدْ جَارَيْتُ بِالْإِحْسَانِ سُوءًا ... إِذَنْ وَصَبَعْتُ عُرْفَكَ بِالسَّوَادِ
وَسِرْتُ أَسُوقُ عَيْرِ اللُّؤْمِ حَتَّى ... أَنْخَتُ الْكُفْرَ فِي دَارِ الْجِهَادِ
وَلَيْسَتْ رُعُوتِي مِنْ فَوْقِ مَذْقٍ ... وَلَا جَمْرِي كَمِينٍ فِي الرَّمَادِ
تَنْبَيْتُ، إِنَّ قَوْلًا كَانَ زُورًا ... أَتَى التُّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادِ
إِلَيْكَ بَعَثْتُ أَبْكَارَ الْمَعَانِي ... يَلِيهَا سَائِقٌ عَجَلٌ وَحَادِي
يُذَلِّلُهَا بِذِكْرِكَ فِرْنُ فِكْرٍ ... إِذَا حَرَنْتَ فَتَسَلْسُ فِي الْقِيَادِ
مُنْزَهَةٌ عَنِ السَّرْقِ الْمُورِي ... مُكْرَمَةٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمَعَادِ
تَنْصَلُّ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ... إِلَيْكَ سِوَى التَّصْبِيحَةِ وَالْوِدَادِ
وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَأَشِيخِ تَسْلَقُ ... مَسَامِعُهُ بِأَلْسِنَةِ حِدَادِ

وطال غضب ابن أبي دؤاد عليه، فما رضى عنه حتى شفع فيه خالد بن يزيد الشيباني، فعمل قصيدة بمدح ابن أبي دؤاد، ويذكر شفاعته خالد بن يزيد إليه، وأغمض مواضع منها في اعتذاره فما فسرهما أحد قط، وإنما سح لي استخراجها لفظي للأخبار التي أوما إليها، فأما من لا يحفظ الأخبار فإنها لا تقع له، وأولها:
أَرَأَيْتَ أَيُّ سَوَالِفٍ وَخُدُودٍ ... عَنَّتْ لَنَا بَيْنَ اللُّوَى فَرَزُودُ؟
فقال فيها:

فاسْمَعْ مَقَالَةَ زَائِرٍ لَمْ تَشْتَبِهْ ... أَرَأَوْهُ عِنْدَ اشْتِبَاهِ الْبِيدِ
أَسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنَ النَّيِّ ... زَعَمُوا، وَلَيْسَ لِرَهْبَةٍ بِطَرِيدِ
كُنْتُ الرَّبِيعَ أَمَامَهُ، وَوَرَاءَهُ قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدِ
فَالغَيْثُ مِنْ زُهْرٍ سَحَابَةٌ رَافِيَةٌ ... وَالرُّكْنُ مِنْ شَيْبَانَ طَوْدُ حَدِيدِ
زهر والحذاق قبيلتان من إياد رهط ابن أبي دؤاد.

وَغَدَا تَيِّبُنُ مَا بَرَاءَةٌ سَاحَتِي ... لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَائِمِي وَنُجُودِي
هَذَا الْوَلِيدُ رَأَى التَّشْبِيهَ بَعْدَمَا ... قَالُوا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مُودِي

يعني الوليد بن عبد الملك، لما هرب يزيد بن المهلب من حبس الحجاج، واستجار بسليمان بن عبد الملك، وكتب الحجاج في قتله إلى الوليد، فلم يزل سليمان بن عبد الملك وعبد العزيز بن الوليد يكلمانه فيه، فقال: لا بد من أن تسلموه إلي، ففعل سليمان ذلك، ووجه معه بأبواب ابنه، فقال: لا تفارق يدك يده، فإن أريد بسوء فادفع عنه حتى تقتل دونه.

فَتَزَعْرَعُ الزُّورُ الْمُؤَسَّسُ عِنْدَهُ ... وَبِنَاءِ هَذَا الْإِفْكِ غَيْرُ مَشِيدِ

وَتَمَكَّنَ ابْنُ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ حِجْيٍ ... مَلِكٍ بِشُكْرِ بَنِي الْمَلُوكِ سَعِيدٍ
- ابن أبي سعيد - يعني يزيد بن المهلب، لأن كنية المهلب أبو سعيد.
- من حجي ملك - يعني سليمان بن عبد الملك. - بشكر بني الملوك - يعني آل المهلب، أن سليمان يسعد
باقي الدهر بشكرهم له.

مَا خَالِدٌ لِي دُونَ أَيُّوبَ وَلَا ... عَبْدَ الْعَزِيزِ وَلَسْتَ دُونَ وَلِيدٍ
يقول: شفيعي خالد بن يزيد، وليس هو عندك بدون عبد العزيز بن الوليد، وأيوب بن سليمان عند الوليد؛
هو بك أخص من ذينك بالوليد، ولا أنت دون وليد في الرأي، وجميل العفو.
نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّ بَابٍ مُلَمَّةٍ ... لَمْ يُرَمَ فِيهِ إِلَيْكَ بِالْإِقْلِيدِ
لَمَّا أَظَلَّنِي غَمَامُكَ أَصْبَحْتَ ... تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهِيَ شُهُودِي
مِنْ بَعْدِ مَا ظَنُّوا بَأَنَّ سَيَكُونُ لِي ... يَوْمٌ بِيَعِيهِمْ كَيَوْمِ عَبِيدٍ
يعني عبيد بن الأبرص: لقي النعمان في يوم بؤسه وهو يوم كان يركب فيه، فلا يلقاه أحد إلا قتله، وخاصة
أول من يلقاه، فلقيه عبيد فقتله.

نَزَعُوا بِسَهْمٍ قَطِيعَةً يَهْفُو بِهِ ... رِيشُ الْعُقُوقِ فَكَانَ غَيْرَ سَائِدٍ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ ... لِلْحَاسِدِ التُّعْمَى عَلَيَّ الْخُسُودِ
الحمد لله وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليماً.

أخبار أبي تمام مع خالد بن يزيد الشيباني

" بسم الله الرحمن الرحيم " حدثنا محمد بن يزيد النحوي، وكان قد عمل كتباً لطافاً، فكانت أنتخب منها
وأقرأ عليه، فقرأت عليه من كتاب سماه كتاب - القطن والحن - قال: خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن
مزيد، وإلى أرمينية، فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفره، وأمره ألا يقيم إن كان عازماً على
الخروج. فودعه ومضت أيام، فركب خالد ليتصيد، فرآه تحت شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ و غلام بيده
طنبور، فقال: حبيب؟ قال: خادمك وعبدك، قال: ما فعل المال؟ فقال:

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْ ... قَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَاتِكَ
مَا مَرَّ شَهْرٌ حَتَّى سَمَحْتُ بِهِ ... كَأَنَّ لِي قُدْرَةَ كَمَقْدُرَتِكَ
تُنْفِقُ فِي الْيَوْمِ بِالْهَبَاتِ وَفِي ... السَّاعَةِ مَا تَجَنَّبِيهِ فِي سَتِّكَ
فَلَسْتُ أَذْرِي مِنْ أَيْنَ تُنْفِقُ لَوْ ... لَا أَنَّ رَبِّي يَمُدُّ فِي هَيْتِكَ
فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها.

وكان قوله: - علمني جودك السماح - من قول ابن الحياط المديني، وقد امتدح المهدي فأمر له بجائزة
ففرقها في دار المهدي وقال:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْغِي الْعَيْ وَكَمْ أَرَّ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُوو الْعَيْ أَفَدْتُ، وَأَعْدَانِي فَبَدَّدْتُ مَا عِنْدِي
فبلغ المهدي خبره، فأضعف جائزته، وأمر بحملها إلى بيته.

حدثني عبد الله بن إبراهيم المسمعي القيسي قال، حدثني أبي قال، حدثني أبو توبة الشيباني - ولم أر أفصح منه - قال: حضرت عشرينا وأميرنا خالد بن يزيد، وعنده رجل كثير الفكاة حسن الحديث، فأعجبني جداً، فقال الأمير أبو يزيد: أما سمعت شعره فينا؟ ما رأيت أحسن بياناً منه، ولا أفصح لساناً!
مَا لِكَيْبِ الْحَمَى إِلَى عَقْدِهِ ... مَا بَالُ جَرَعَانِهِ إِلَى جَرَدِهِ
إلى أن قال:

نَعَمْ لِيَوَاءِ الْحَمِيسِ أُبْتُ بِهِ ... يَوْمَ خَمِيسٍ عَالِي الضُّحَى أَفْدِيهِ
خَلْتُ عَقَاباً بَيْضَاءَ فِي حُجْرَا ... تِ الْمَلِكِ طَارَتْ مِنْهُ وَفِي سُدَدِهِ
فَشَاعَبَ الْجَوَّ وَهُوَ مَسْكُنُهُ ... وَقَاتَلَ الرِّيحَ وَهِيَ مِنْ مَدَدِهِ
وَمَرَّ تَهْفُو ذُؤَابَتَاهُ عَلَيَّ ... أَسْمَرَ مَتْنِ يَوْمِ الْوَعَى جَسَدِهِ

تَخْفِقُ أَنْثَاؤُهُ عَلَيَّ مَلِكٍ ... يَرَى طِرَادَ الْأَبْطَالِ مِنْ طَرَدِهِ
وَهَلْ يُسَامِيكَ فِي الْعُلَا مَلِكٌ ... صَدْرُكَ أَوْلَى بِالرُّحْبِ مِنْ بَلَدِهِ؟
أَخْلَاقُكَ الْغُرْدُونَ رَهْطُكَ أَثُ ... رَى مِنْهُ فِي رَهْطِهِ وَفِي عَدَدِهِ

فما سمعت مثل قوله، وطربت فرحاً أن يكون من ربيعة، فقلت: ممن الرجل؟ فقال: من طيب، وولائي لهذا الأمير، فقلت: يا أسفي ألا تكون ربيعياً أو نزارياً، ثم أمر له الأمير أبو يزيد بعشرة آلاف درهم بيضاً، ووالله ما كافأه. وفي هذه القصيدة ذكر شفاعة خالد إلى ابن أبي دؤاد فيما تقدم ذكره، فقال:

بِاللَّهِ أَنْسَى دِفَاعَهُ الزُّورَ مِنْ ... عَوْرَاءَ ذِي نَيْرَبٍ وَمِنْ قَنْدِهِ
وَلَا تَنَاسَى أَحْيَاءَ ذِي يَمَنِ ... مَا كَانَ مِنْ نَصْرِهِ وَمِنْ حَشْبِهِ
آثَرْنِي إِذْ جَعَلْتَهُ سَنَدًا ... كُلُّ امْرِئٍ لَاجِئٌ إِلَى سَنَدِهِ

حدثني أبو بكر القنطري قال، حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: كان خالد بن يزيد الشيباني بقية الشرف والكرم، وأوسع الناس صدراً في إعطاء الشعراء. دفع إلى عمارة بن عقيل ألف دينار لقوله فيه:
تَأْتِي خَلَاتِقُ خَالِدٍ وَفَعَالُهُ ... إِلَّا تَجُنَّبَ كُلُّ أَمْرٍ عَائِبِ
وَإِذَا حَضَرْنَا الْبَابَ عِنْدَ عَدَائِهِ ... أَذِنَ الْعَدَاءُ لَنَا بِرَعْمِ الْحَاجِبِ
قال: وأخذ أبو تمام بمدحه له أضعاف هذا.

وجدت بخط ابن أبي سعيد، حدثني إسماعيل بن مهاجر قال، حدثني وكيل للحسن بن سهل يعرف بالبلخي قال: استنشد خال بن يزيد أبا تمام قصيدته في الأفضنين التي ذكر فيها المعتصم وأولها:
عَدَا الْمَلِكُ مَعْمُورَ الْحَرَا وَالْمَنَازِلَ مَنُورَ وَحَفِ الرُّوضِ عَدَبَ الْمَنَاهِلِ
فلما بلغ إلى قوله:

تَسْرِبَلِ سِرْبَالًا مِنْ الصَّبْرِ وَارْتَدِي ... عَلَيْهِ بَعْضُ فِي الْكَرْبِهِةِ قَاصِلِ
وَقَدْ ظَلَلَتْ عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحَى بَعْقَبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرِّيَاثِ حَتَّى كَانَتْهَا ... مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

قال له خالد: كم أخذت بهذه القصيدة؟ قال: ما لم يرو الغلة، ولم يسد الخلة. قال: فإني أثيبك عنها، قال:
ولم ذاك، وأنا أبلغ الأمل بمدحك؟ قال: لأني آليت لا أسمع شعراً حسناً مدح به رجل فقصر عن الحق فيه إلا
نبت عنه. قال: فإن كان شعراً قبيحاً؟ قال: أنظر فإن كان أخذ شيئاً استرجعته منه!.

وقد أحسن أبو تمام في هذا المعنى وزاد على الناس بقوله: - إلا أنهما لم تقاتل - ، وقد قال مسلم قبله:

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَتَقَنَّ بِهَا ... فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلِ
وَأَحْسَنَ مِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عِيَدِ اللَّهِ:

وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَلَقًا ... وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورِهِ

رَاحَ فِي ثَنِي مُفَاضَتِهِ ... أَسَدٌ يَدْمَى شَبَابَ ظُفْرِهِ

تَتَأَيَا الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ ... تَقَنَّ بِالشَّيْعِ مِنْ جَزْرِهِ

ولا أعلم أحداً قال في هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة، وهو أولى بالمعنى، وإن كان قد سبق إليه، لأنه جاء
به أحسن. وقد ذكرنا شريطة السرقات قبل هذا، قال النابغة:

إِذَا مَا غَدَوَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ ... عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَابِ

جَوَانِحَ قَدْ أَيَقَنَّ أَنْ قَبِيلَهُ ... إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوْلُ غَالِبِ

وهو من قول الأفوه الأودي في قصيدة أولها:

يَا بَنِي هَاجَرَ سَاءَتْ خُطَّةٌ ... أَنْ تَرُومُوا النَّصْفَ مِنَّا وَمَحَارَ

فقال فيها:

فَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا ... رَأَى عَيْنٍ تَقَنَّ أَنْ سَتْمَارُ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أخبار أبو تمام مع الحسن بن رجاء

" بسم الله الرحمن الرحيم "

حدثنا عون بن محمد الكندي قال، حدثني محمد بن سعد أبو عبد الله الرقي - وكان يكتب للحسن بن
رجاء - قال: قدم أبو تمام مدحاً للحسن بن رجاء، فرأيت رجلاً علماً وعقله فوق شعره، واستنشد الحسن
بن رجاء، ونحن في مجلس شرب فأنشده:

كُفِّي وَغَاكِ فَإِنِّي لَكَ قَالِي ... لَيْسَتْ هَوَادِي عَزَمَتِي بِنَوَالِي

أَنَا ذُو عَرَفَتِ فَإِنْ عَرَّتْكَ جَهَالَةٌ ... فَأَنَا الْمُقِيمُ قِيَامَةَ الْعُدَالِ

فلما قال:

عَادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مُسَوَّدَةً ... حَتَّى تَوَهَّمَتْ أَنَّهُنَّ لِيَالِي

قال له الحسن: والله لا تسود عليك بعد اليوم. فلما قال:

لَا تُنْكِرِي عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى ... فَالْسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

وَتَنْظَرِي حَيْبَ الرَّكَّابِ يَنْصُهَا ... مُحْيِي الْقَرِيضِ إِلَى مُمَيَّتِ الْمَالِ

قام الحسن بن رجاء وقال: والله لا أتمتها إلا وأنا قائم، فقام أبو تمام لقيامه، وقال:

لَمَّا بَلَغْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى ... عَنَّا تَمَلُّكَ دَوْلَةِ الْإِمْحَالِ

بَسَطَ الرَّجَاءَ لَنَا بِرَعْمِ نَوَائِبٍ ... كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ الْأَمَالِ

أَعْلَى عَدَارَى الشَّعْرِ، إِنَّ مَهْوَرَهَا ... عِنْدَ الْكِرَامِ إِذَا رَخِصْنَ غَوَالِي

تَرُدُّ الظُّنُونِ بِهِ عَلَى تَصْدِيقِهَا ... وَيُحَكِّمُ الْأَمَالَ فِي الْأَمْوَالِ

أَضْحَى سَمِيَّ أَيْكَ فَيْكَ مُصَدَّقًا ... بِأَجَلٍ فَائِدَةٍ وَأَيْمَنَ فَالِ

وَرَأَيْتَنِي فَسَأَلْتُ نَفْسَكَ سَبِيهَا لِي، ثُمَّ جُدْتُ وَمَا انْتَهَرْتُ سُؤَالِي

كَالْغَيْمِ لَيْسَ لَهُ أَرِيدَ غِيَاثُهَاو لَمْ يُرَدُّ بُدٌّ مِنَ التَّهْطَالِ

فبتعانقا وجلسا، فقال له الحسن: ما أحسن ما جليت هذه العروس! فقال: والله لو كانت من الحور العين

لكان قيامك أوفى مهورها. قال محمد بن سعيد: فأقام شهرين فأخذ على يدي عشرة آلاف درهم، وأخذ

غير ذلك مما لم أعلم به، على بخل كان في الحسن بن رجاء.

حدثني أبو الحسن الأنصاري قال، حدثني نصير الرومي مولى مبهوتة الهاشمي قال: كنت مع الحسن بن رجاء،

فقدم عليه أبو تمام فكان مقيماً عنده، وكان قد تقدم إلى حاجبه ألا يقف ببابه طالب حاجة إلا أعلمه خبره،

فدخل حاجبه يوماً يضحك، فقال: ما شأنك؟ فقال: بالباب رجل يستأذن ويزعم أنه أبو تمام الطائي! قال:

فقل له ما حاجتك؟ قال: يقول مدحت الأمير - أعزه الله - وجمت لأنشده، قال: أدخله، فدخل فحضرت

المائدة، فأمره فأكل معه، ثم قال له: من أنت؟ قال: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، مدحت الأمير أعزه الله،

قال: هات مدحك، فأنشده قصيدة حسنة، فقال: قد أحسنت، وقد أمرت لك بثلاثة آلاف درهم، فشكر

ودعا، وكان الحسن قد تقدم قبل دخوله إلى الجماعة ألا يقولوا له شيئاً، فقال له أبو تمام: نريد أن تميز لنا

هذا البيت، وعمل بيتاً، فلجلج، فقال له: ويحك، أما تستحي، ادعيت اسمي واسم أبي وكنتي ونسبي، وأنا

أبو تمام! فضحك الشيخ وقال: لا تعجل علي حتى أحدث الأمير - أعزه الله - قصتي: أنا رجل كانت لي

حال فتغيرت، فأشار على صديق لي من أهل الأدب أن أقصد الأمير بمدح، فقلت له: لا أحسن، فقال أنا

أعمل لك قصيدة، فعمل هذه القصيدة ووهبها لي، وقال: لعلك تنال خيراً، فقال له الحسن: قد نلت ما

تريد، وقد أضعفت جاترتك. قال: فكان ينادمه ويتولعون به فيكونه بأبي تمام.

حدثني أبو بكر القطري قال، حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: ما سمعت الحسن بن رجاء ذكر قط أبا تمام

إلا قال: ذاك أبو التمام، وما رأيت أعلم بكل شيء منه.

حدثني علي بن إسماعيل النوبختي قال، قال لي البحري: والله يا أبا الحسن لو رأيت أبا تمام الطائي، لرأيت

أكمل الناس عقلاً وأدباً، وعلمت أن أقل شيء فيه شعره!.

سمعت الحسن بن الحسن بن رجاء يحدث أبا سعيد الحسن بن الحسين الأزدي، أن أباه رأى أبا تمام يوماً يصلي صلاةً خفيفةً، فقال له: أتم يا أبا تمام. فلما انصرف من صلاته قال له: قصر المال، وطول الأمل، ونقصان الجدة، وزيادة المهمة، يمنع من إتمام الصلاة، لا سيما ونحن سفر، فكان أبي يقول: وددت أنه يعاني فروضه كما يعاني شعره، وأني مغرم ما يتقل غرمه؟.

وقد ادعى قوم عليه الكفر بل حققوه، وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره، وتقبيح حسنه، وما ظننت أن كفرةً يتقص من شعر، ولا أن إيماناً يزيد فيه. وكيف يحقق هذا على مثله، حتى يسمع الناس لعنه له، من لم يشاهده ولم يسمع منه، ولا سمع قول من يوثق به فيه؟ وهذا خلاف ما أمر الله عز وجل، ورسوله عليه السلام به، ومخالف لما عليه جملة المسلمين. لأن الناس على ظاهرهم حتى يأتوا بما يوجب الكفر عليهم بفعل أو قول، فيرى ذلك أو يسمع منهم، أو يقوم به بينة عليهم. واحتجوا برواية أحمد بن أبي طاهر، وقد حدثني بما عنه جماعة أنه قال: دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعراً، وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم، فقلت: ما هذا؟ قال: اللات والعزى، وأنا أعبدهما من دون الله مذ ثلاثون سنةً.

وهذا إذا كان حقاً فهو قبيح الظاهر، ردى اللفظ والمعنى، لأنه كلام ماجن مشعوف بالشعر. والمعنى أنهما قد شغلاني عن عبادة الله عز وجل، وإلا فمن الخال أن يكون عبد اثنين لعله عند نفسه أكبر منهما، أو مثلهما، أو قريب منهما. على أنه ما ينبغي لجادٍ ولا مازح أن يلفظ بلسانه، ولا يعتقد بقلبه، ما يغضب الله عز وجل، ويتاب من مثله؛ فكيف يصح الكفر عند هؤلاء على رجلٍ، شعره كله يشهد بضد ما أقموه به، حتى يلعنوه في المجالس؟ ولو كان على حال الديانة لأغروا من الشعراء بلعن من هو صحيح الكفر، واضح الأمر، ممن قتلته الخلفاء - صلوات الله عليهم - بإقرارٍ وبينية، وما نقصت بذلك رتب أشعارهم، ولا ذهبت جودتها، وإنما نقصوا هم في أنفسهم، وشقوا بكفرهم.

وكذلك ما ضر هؤلاء الأربعة، الذين أجمع العلماء على أنهم أشعر الناس: امرأ القيس والنابعة الذبياني وزهيراً والأعشى، كفرهم في شعرهم، وإنما ضرهم في أنفسهم. ولا رأينا جريراً والفرزدق يتقدمان الأخطل عند من يقدمهما عليه بإيمانها وكفره، وإنما تقدمهما بالشعر. وقد قدم الأخطل عليهما خلق من العلماء، وهؤلاء الثلاثة طبقة واحدة، وللناس في تقديمهم آراء.

حدثني القاسم بن إسماعيل قال، حدثنا أبو محمد التوجي عن خلف الأحمر قال: سئل حماد الراوية عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر؟ فقال: الأخطل، ما تقول في رجلٍ قد حبب إلى شعره النصرانية! وهذا أيضاً

مزح من حماد، وفرط شعفٍ بشعر الأخطل. ولو تأول الناس عليه كما تأولوا على أبي تمام لكان ما قال قبيحاً، وما أحسب شعر أبي تمام، مع جودته وإجماع الناس عليه، يقص بطعن طاعنٍ عليه في زماننا هذا، لأني رأيت جماعةً من العلماء المتقدمين، ممن قدمت عندهم في قلة المعرفة بالشعر ونقده وتمييزه، وأريت أن هذا ليس من صناعتهم، وقد طعنوا على أبي تمام في زمانهم وزمانه، ووضعوا عند أنفسهم منه، فكانوا عند الناس بمنزلة من يهذي، وهو يأخذ بما طعنوا عليه الرغائب من علماء الملوك، ورؤساء الكتاب، الذين هم أعلم الناس بالكلام منشوره ومنظومه، حتى كان هو يعطي الشعراء في زمانه ويشفع لهم؛ وكل محسنٍ فهو

غلام له، وتابع أثره.

ومن الإفراط في عصبيتهم عليه، ما حدثني به أبو العباس عبد الله بن المعتز قال: حدثت إبراهيم بن المدير - ورأيت يستجيد شعر أبي تمام ولا يوفيه حقه - بحديث حدثني أبو عمرو بن أبي الحسن الطوسي، وجعلته مثلاً له، قال: وجه بي أبي إلى ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعاراً، وكنت معجباً بشعر أبي تمام، فقرأت عليه من أشعار هذيل، ثم قرأت أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل:
وعاذل عذلتُهُ في عذله ... فَظَنَّ أَنِّي جَاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ
حتى أتممتها، فقال: اكتب لي هذه، فكتبتها له، ثم قلت: أحسنه هي؟ قال: ما سمعت بأحسن منها! قلت: إنها لأبي تمام فقال: خرق خرق!.

وكان عبد الله قد عمل بعد هذا الخبر كلاماً يتبعه به فكتبته عنه، قال عبد الله: وهذا الفعل من العلماء مفرط القبح، لأنه يجب ألا يدفع إحسان محسن، عدواً كان أو صديقاً، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيح، فإنه يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - أنه قال: الحكمة ضالة المؤمن، فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك. ويروى عن بزر جهم أنه قال: أخذت من كل شيء أحسن ما فيه، حتى انتهيت إلى الكلب والهرة والخنزير والغراب. قيل: وما أخذت من الكلب؟ قال: إلفه لأهله، وذبه عن حريمه. قيل: فمن الغراب؟ قال: شلة حذره. قيل: فمن الخنزير؟ قال: بكوره في إرادته. قيل: فمن الهرة؟ قال: حسن رفقها عند المسألة، ولين صياحها.

قال أبو العباس: ومن عاب مثل هذه الأشعار، التي ترتاح لها القلوب، وتجذل بها النفوس، وتصغي إليها الأسماع، وتشخذ بها الأذهان، فإنما غض من نفسه، وطعن على معرفته واختياره. وقد روى عن عبد الله بن العباس رحمه الله أنه قال: الهوى إله معبود، واحتج بقول الله جل وعز: " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ".
انقضى كلام عبد الله.

حدثني علي بن محمد الأسدي قال: حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال: وقف ابن الأعرابي على المدائني فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله؟ قال: إلى الذي هو كما قال الشاعر:

تَحْمِلُ أَشْبَاحَنَا إِلَى مَلِكٍ ... نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ

قال أبو بكر: فتمثل بشعر أبي تمام وهو لا يلري، ولعله لو درى ما تمثل به. وكذلك فعل في النوادر: جاء فيها بكثير من أشعار المحدثين، ولعله لو علم بذلك ما فعله.

وقد رأينا الأعداء يصدقون في أعدائهم، لا لنية في تقديمهم، ولا خبيرة في رفعهم وتقريضهم، ولا لديانة يرفعونها فيهم، ولكن يفعلونه حياطة لأنفسهم، وتبسيهاً على فضلهم وعلمهم. فمن ذلك قول عمارة بن عقيل وقد أنشد قصيدة للفرزدق يهجو بها جريراً: أكل والله أبي، أكل والله أبي! ومن ذلك قول الفرزدق، وقد سمع قول جرير، حدثني به الفضل بن الحباب، قال: حدثني محمد بن سلام عن مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد قال: كان الفرزدق عند أبي في مشربة له، فدخل رجل فقال: وردت اليوم المربرد قصيدة لجرير، تناشدها الناس، فامتقع لون الفرزدق، فقال له: ليست فيك يا أبا فراس قال: فقيمن؟ قال: في ابن

لجأ التيمي، قال: أحفظت منها شيئاً؟ قال: نعم، علقت منها بيتين، قال: ما هما؟ فأنشده:

لِنُ عُمَرَتِ تَيْمٍ زَمَانًا بَعْرَةً ... لَقَدْ حُدِيَتْ تَيْمٌ حُدَاءً عَصَبًا
فَلَا يَضَعَمَنَّ اللَّيْثُ عُكْلًا بَعْرَةً ... وَعُكْلٌ يَشْمُونُ الْفَرَيْسَ الْمُتَيَّبَا

وفسر لي أبو خليفة وأبو ذكوان جميعاً هذا المعنى عن ابن سلام قال: الليث إذا ضغم الشاة ثم طرد عنها جاءت الغنم تشم ذلك الموضع فيغترها فيخطف الشاة، وعكل إخوة التيم وعدي وثور، وهم بنو عبد مناة بن أذ. يقول: فلا تنصروهم فأهجوكم وأدعهم. قال ابن سلام: ونحوه قول جرير:

وَقُلْتُ نَصَاحَةً لِنِي عَدِيٍّ ... ثِيَابَكُمْ وَنَضَحَ دَمَ الْقَتِيلِ

فقال الفرزدق: قاتله الله، إذا أخذ هذا المأخذ فما يقام له: يعني الروي على الياء. وقال ابن سلام حدثني رجل من بني حنيفة قال، قال الفرزدق: وجدت - ألياء - أم جرير وأباه، أي يجيد إذا ركبها. ومن ذلك قول الراعي في جرير وقد هجاه، حدثني القاضي أبو خليفة الفضل بن الحباب قال: حدثني محمد بن سلام قال، حدثني أبو البيداء الرياحي قال: مر راكب يتغني:

وَعَاوِ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمِيْتَهُ ... بِقَافِيَةٍ أَنْفَاذُهَا تَقَطَّرُ الدَّمَ
خُرُوجَ بَأْفَوَاهِ الرَّجَالِ كَأَنَّهَا ... قَرَى هُنْدُوَاتِي إِذَا هُرَّ صَمَمَا

فقال الراعي: من بالبيتين؟ قال: جرير، قال: قاتله الله، لو اجتمعت الجن والإنس ما أغنوا فيه شيئاً. قال ابن سلام، قال الراعي: ألام أن يغلبي مثل هذا؟ حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن بشار قال، قال بشار لراويته: أنشدني من قول حماد فأنشده:

نُسِيتَ إِلَى بُرْدٍ وَأَنْتَ لَغَيْرِ هَفْهَبِكَ لُبْرِدٍ نَكْتُ أَمَكَّ مَنْ بُرْدُ؟

فقال: هاهنا أحد يسمع كلامي؟ قال: لا، قال: أحسن ابن الزانية!

وهذا يكثر جداً، ولكنني أتيت بشيء منه يدل على جميعه. ومثل هذا من قص ذوي الفضل والمتقدمين في الصنائع من جميع الناس قبيح، وهو من العلماء أقبح. نعوذ بالله من اتباع الهوى، ونصر الخطأ، والكلام في العلم بالحل واللاج والعصية.

حدثني عون بن محمد قال: شهدت دعبلاً عند الحسن بن رجاء، وهو يضع من أبي تمام، فاعترضه عصابة الجرجرائي فقال: يا أبا علي اسمع مني مما مدح به أبا سعيد محمد بن يوسف فإن رضىته فذاك، وأعوذ بالله فيك من ألا ترضاه، ثم أنشده:

أَمَا إِنَّهُ لَوْ لَا الْخَلِيْطُ الْمُوَدِّعُ

فلما بلغ إلى قوله:

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ مَجْدُ ابْنِ يَوْسُفٍ ... وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلِّعُ

هُوَ السَّيْلُ إِنْ وَاجَهْتَهُ انْقَدَتْ طَوْعَهُ ... وَتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبِهِ فَيَتَّبِعُ

وَلَمْ أَرَ نَفْعًا عِنْدَ مَنْ لَيْسَ ضَائِرًا ... وَلَمْ أَرَ ضَرًّا عِنْدَ مَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ

مَعَادُ الْوَرَى بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَسَيِّئُهُ ... مَعَادُ لَنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمَرْجِعُ

فقال دعبل: لم ندفع فضل هذا الرجل، ولكنكم ترفعونه فوق قدره، وتقدمونه وتنسبون إليه ما قد سرقه، فقال له عصابة: تقدمه في إحسانه صيرك له عائباً، وعليه عائباً.

أخبار أبي تمام مع الحسن بن وهب

ومحمد بن عبد الملك الزيات حدثني عبد الرحمن بن أحمد قال: وجدت بخط محمد بن يزيد المبرد أن أبا تمام كتب إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبياً:

جُعِلْتُ فِدَاكَ، عبد الله عِنْدِي ... بَعَثَ الْهَجْرَ مِنْهُ وَالْبِعَادِ
لَهُ لَمَّةٌ مِنَ الْكُتَّابِ بِيضٌ ... فَصَوَّأَ حَقَّ الزِّيَارَةِ وَالْوِدَادِ
وَأَحْسَبُ يَوْمَهُمْ إِنْ لَمْ تَجِدْهُمْ ... مُصَادِفَ دَعْوَةٍ مِنْهُمْ جَمَادِ
فَكَمْ نَوْءٍ مِنَ الصَّهْبَاءِ سَارَ ... وَآخَرَ مِنْكَ بِالْمَعْرُوفِ غَادِ
فَهَذَا يَسْتَهْلُ عَلَى غَلِيلِي ... وَهَذَا يَسْتَهْلُ عَلَى تِلَادِي
دَعْوَتُهُمْ عَلَيْكَ وَكَتَمَ مِنْ ... نُعَيْنُهُ عَلَى الْعُقَدِ الْجِيَادِ
فوجه إليه بمائة دنٍّ ومائة دينار، وقال: لكل دنٍ دينار.

حدثني عبد الله بن المعتز قال: صار إلي محمد بن يزيد النحوي منصرفاً من عند القاضي إسماعيل، وكان يجيئني كثيراً إذا انصرف من عنده، فأعلمني أن الحارثي الذي يقول فيه ابن الجهم:

لَمْ يَطْلَعَا إِلَّا لِأَبْدَةِ ... الْحَارِثِي وَكَوْكَبِ الذَّنْبِ

دخل إلى القاضي إسماعيل، فأنشده شعراً لأبي تمام إلى الحسن بن وهب، يستسقيه نبياً لم أر أحسن منه في معناه، وأنه كره أن يستعيده أو يقول له اكتبه، لحال القاضي، فقلت له: أتخفظ منه شيئاً؟ قال: نعم، أوله: جُعِلْتُ فِدَاكَ عبد الله عِنْدِي

قال: فأنشدته الأبيات وكتبت أحفظها فكتبها بيده وهي هذه الأبيات التي ذكرناها.

حدثنا أحمد بن إسماعيل قال، حدثني عبيد الله بن عبد الله قال: استهدي أبو العيناء مطبوخاً، فوجهت إليه بشيء منه، فاستقله وكتب إلي: أقول للأمير ما قاله أبو تمام لحمد بن علي بن عيسى القمي، وقد استهداه شراباً فأبطأ رسوله، ثم وجه إليه بشراب أسود قليل، فكتب إليه:

قد عرفنا دلالة المنع أو ما ... يُشْبِهُ الْمَنْعَ بِاحْتِبَاسِ الرَّسُولِ
وافتضحنا عند الزبيب بما صحَّ ... لديه من قُبْحِ وَجْهِ الشَّمُولِ
وهي نَزْرٌ لو أَنَّهَا من دُمُوعِ الصَّبِّ ... لم تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ الْغَلِيلِ
قد كَتَبْنَا لك الأمانَ فما تسألُ ... مِنْهَا عُمَرَ الزَّمانِ الطَّوِيلِ
كم مغطى قد اخبرنا نداءه ... وعرضنا كثيره بالقليل

قال: فأرضيت أبا العيناء بعد ذلك.

ومثل قوله:

وهي نَزْرٌ لو أَنَّهَا من دُمُوعِ الصَّبِّ

ما حدثنيه أحمد بن إبراهيم الغنوي قال: طلب أبو مالك الرسعني وخاله ذو نواس البجلي الشاعر من صديق له نبيداً، فوجه إليه بأرطال يسيرة فكتب إليه:
لو كان ما أهديتُهُ إثمداً ... لم يكفِ إلا مُقلّةً واحدةً

برّدتَ واللهِ على أنّها ... إليك منّا حاجةً باردةً
والبحتري يقول في نحو هذا لأبي أيوب ابن أخت الوزير:
لك الخير، ما مقدارُ عَقْوِي وما جهدي ... وآل حُميدٍ عندَ آخِرِهِم عندي؟
تتابعتِ الطّاءُانِ طُوسٌ وَطَيٌّ ... فقلُ في خُرَاسانٍ، وإن شئتَ في نجدٍ
أتُونِي بلاَ وَعْدٍ وإن لم تجدُ هُم ... بِرَاحِهِم راحوا جميعاً على وَعْدٍ
ولم أرَ خلا كالنبيذِ إذا جفا ... جفاك له خُلائهُ وذوُ الوُدِّ
ومّا ذهَى الفتيانُ أَنَّهُمُ غَدُوا ... بِأخِرِ شِعبانٍ على أوّلِ الوَرْدِ
غداً يَحْرُمُ الماءُ القَرّاحُ وتَتَوَيُّوجُوهُ مِنَ اللذاتِ مُشجِبةُ الفَقْدِ
أعنا على يَوْمٍ يُشيعُ لهُونا ... إلى ليلةٍ فيها له أجلٌ مُردي

حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: وجه الحسن بن وهب إلى أبي تمام وهو بالموصل خلعةً فيها خَزُّ ووشى.

فامتدحه ووصفَ الخلعةَ في قصيدةٍ أولها:
أبو عليٍّ وَسَمِيٌّ مُنتَجِعُهُ ... فاحلُلْ بأعلى واديه أو جَرَعِهِ
ثم وصف الخلعة فقال:
وقد أتاني الرسولُ بالملبسِ الفَخْمِ ... لصيفِ امرئٍ ومُرْتَبِعِهِ
لو أنّها جُلَّتْ أويساً لقد ... أَسْرَعَتِ الكِبْرِياءُ في وَرَعِهِ
رائقُ خَزٍّ أُجيدٌ سائِرُهُ ... سَكَبَ تدينُ الصَّبَا المُرْعَهُ
وسِرُّ وِشِيٍّ كأنَّ شِعري ... أحياناً نَسِيبُ العُيونِ مِنْ بَدَعِهِ
تَرَكَتَنِي سَامِي الجُفُونِ على ... أزلَمَ دَهْرٍ بِحَسَنِها جَدَعَهُ
يريد على دهرٍ قديمٍ وهو الأزلَمُ لظوله وقدمه وجدعه، لأن يومه جديد، قال لقيط الإيادي:
يا قومُ بِيضَتُّكُمْ لا تُفجِعَنَّ بما ... إني أخافُ عليها الأزلَمَ الجَدَعَا
وقد وصف خلعةً أخرى أحسن من هذا الوصف وجوده.

حدثني عون بن محمد قال، حدثني الحسين بن وداع، كاتب الحسن بن رجاء، قال: حضرت محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده:

جَادَتْ مَعَاهِدُهُمُ عَهَادُ سَحَابَةٍ ... ما عَهْدُها عندَ الدِّيارِ ذَمِيمٌ
قال: فلما فرغ منها أمر له بألف دينارٍ وخلع عليه خلعةً حسنةً، وأقمنا ذلك اليوم عنده، ومعنا أبو تمام، ثم انصرف وكتب إليه في غد ذلك اليوم:
قَدْ كَسَانَا مِنْ كُسُوةِ الصَّيْفِ خِرْقٌ ... مُكْتَسٍ مِنْ مَكَارِمِ وَمَسَاعِ

حَلَّةٌ سَابِرِيَّةٌ وَرِدَاءٌ ... كَسَحَا الْقَيْضِ أَوْ رِدَاءِ الشَّجَاعِ
كَالسَّرَابِ الرَّقْرَاقِ فِي الْحُسْنِ إِلَّا ... أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْخِدَاعِ
قَصِيْبًا تَسْتَرْجِفُ الرِّيحُ مَتْنِي ... هِ بِأَمْرٍ مِنَ الْعُيُوبِ مُطَاعِ
رَجْفَانًا كَأَنَّهُ الدَّهْرُ مِنْهُ ... كَبِدُ الصَّبِّ أَوْ حَشَا الْمُرْتَاعِ
لَا زَمًا مَا يَلِيهِ تَحْسِبُهُ جُرٌّ ... ءَأُ مِنَ الْمُشَيِّنِ وَالْأَصْلَاعِ
يَطْرُدُ الْيَوْمَ ذَا الْمَجِيرِ وَلَوْ شَبَّ ... هِ فِي حَرِّهِ بِيَوْمِ الْوَدَاعِ
خِلْعَةٌ مِنْ أَعْرَ أُرْوَعَ رَحْبِ الصَّ ... ذِرِ رَحْبِ الْقُوَادِرِ رَحْبِ الدَّرَاعِ
سَوْفَ أَكْسُوكَ مَا يُعْفَى عَلَيْهَا ... مِنْ تَنَاءِ كَالْبُرْدِ بُرْدِ الصَّنَاعِ
حُسْنُ هَاتِيكَ فِي الْعْيُونِ وَهَذَا ... حُسْنُهُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ

فقال محمد بن الهيثم: من لا يعطي على هذا ملكه؟ والله لا بقى في داري ثوب إلا دفعته إلى أبي تمام؛ فأمر له بكل ثوب يملكه في ذلك الوقت.

ونحو قول أبي تمام في البيت الأخير قول عبد الصمد:

بَأَيِّمِنِ طَائِرٍ وَأَسْرٍ قَالَ ... وَأَعْلَى رُتْبَةٍ وَأَجَلٍ حَالِ

شَرِبْتَ الدُّهْنَ ثُمَّ خَرَجْتَ مِنْهُ ... خُرُوجَ الْمَشْرِفِيِّ مِنَ الصَّقَالِ
تَكشَّفَ عَنْكَ مَا عَانَيْتَ مِنْهُ ... كَمَا انْكَشَفَ الْعَمَامُ عَنِ الْهَيْلَالِ
لَطُولِ سَلَامَةٍ وَلَطُولِ عُمُرٍ ... بَلَغْتَ بِكَ الطَّوَالَ مِنَ اللَّيَالِي
وَقَدْ أَهْدَيْتُ رِيحَانًا طَرِيفًا ... بِهِ حَاجَيْتُ مُسْتَمْعِي مَقَالِي
وَمَا هُوَ غَيْرُ حَاءٍ بَعْدَ يَاءٍ ... تُخْبِرُ بَعْدَ مِيمٍ قَبْلَ دَالِ
وَرِيحَانَ النَّبَاتِ يَعِيشُ يَوْمًا ... وَلَيْسَ يَمُوتُ رِيحَانَ الْمَقَالِ
وَلَمْ تَكْ مُؤَثِّرًا رِيحَانَ شَمٍّ ... عَلَيَّ رِيحَانَ أَسْمَاعِ الرَّجَالِ

ولي أبيات من قصيدة مدحت بها صديقاً لي، وصفت فيها الثياب، وما علمت أن أحداً وصفها حتى قرأت

شعر أبي تمام، وقد أحسن فيه غاية الإحسان. قلت:

أَيْنَ الدَّبِيقِيِّ الَّذِي مَدَّتْ بِهِ ... أَيَدِي النَّسَاءِ فَجَاءَ طَوْعَ الْمَغْزَلِ
غَمَصَتْ حَوَاشِيَهُ لِدِقَّةِ نَسْجِهِ ... مِنْ غَيْرِ تَضْلِيلٍ وَغَيْرِ تَسْلُسُلِ
وَالثُّوبُ قَدْ يَحْكِي بِدِقَّةِ نَسْجِهِ ... نَسْجَ الْعِنَاكِبِ بِالْمَكَانِ الْمُهْمَلِ
شُعِلَتْ بِهِ هِمَمُ الْمُلُوكِ وَأُمَهَلَتْ ... صُنَاعُهُ فِيهِ وَلَمْ تُسْتَعْجَلِ
فَعَدَا عَلَيْكَ مُهْلَهْلًا يَخْفَى عَلَيَّ ... رَاحَ التِّجَارِ وَلَيْسَ بِالْمُسْتَرْسِلِ
عِدْلُ الْهَوَاءِ إِذَا صَفَتْ أَقْطَارُهُ ... وَأَرَقَّهُ نَسْجُ الْخَرِيفِ الْمُقْبَلِ
أَوْ مِثْلُ نَسْجِ الشَّمْسِ تَحْسِرُ دُونَهُ ... وَتَكِلُ عَيْنُ النَّظِيرِ الْمُتَأَمِّلِ
فَكَأَنَّهُ عَرَضٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ ... مِنْ غَيْرِ مَا جِسْمٍ لَهُ مُتَقَبَّلِ

ولا أعرف شيئاً قبل هذا في وصف ثوبٍ ولا غزلٍ إلا ما حدثني به محمد بن يزيد النحوي قال: أنشدني عمرو بن حفص المنقري لأبي حنش الميرري في رجل ولي الإمارة بعد أن كان حائكاً:

لله سَيْئُكَ مَا أَكَلَّ وَفُوعَهُ ... أَيَّامَ أَنْتَ بَضْرِبُهُ لَا تُقْتَلُ
إِلَّا خِيُوطاً أُبْرِمَتْ طَاقَاتُهَا ... تُشْنَى بِأَطْرَافِ الْبِنَانِ وَتُقْتَلُ
بِيضاً تُبَاهِي الْعَنْكَبُوتَ بِنَسْجِهَا ... كَالرَّقِ رَقَّقَ غَزْلُهُنَّ الْمَغْزَلُ
مَا زِلْتَ تَضْرِبُ فِي الْغُرُولِ بِحَدِّهِ ... حَتَّى حَدَبْتَ وَزَالَ مِنْكَ الْمَفْصَلُ
أَيَّامَ قِدْرِكَ لَا تَرَالُ نَضِيجَةً ... مِنْ أَرْدَاهَا جَ لَيْسَ فِيهِ فُلْقُلُ

حدثني محمد بن موسى قال: كان أبو تمام يعشق غلاماً خزرياً كان للحسن بن وهب، وكان الحسن يتعشق غلاماً كان لأبي تمام رومياً، فرآه أبو تمام يوماً يعبث بغلامه فقال: والله لئن أعنقت إلى الروم لتركضن إلى الخزر. فقال ابن وهب: لو شئت لحكمتنا واحتكمت، فقال له أبو تمام: أنا أشبهك بداود وأشبهني بخصمه. فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، فأما منشوراً فهو عارضٌ لا حقيقة له، فقال أبو تمام:

أَبَا عَلِيٍّ لَصَرْفِ الدَّهْرِ وَالغَيْرِ ... وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ وَالْعَبْرِ
أَذْكَرْتَنِي أَمْرَ دَاوُدٍ وَكُنْتُ فَتَى ... مُصْرَفَ الْقَلْبِ فِي الْأَهْوَاءِ وَالذِّكْرِ
أَعِنْدَكَ الشَّمْسُ لَمْ يَحْظَ الْمَغِيبُ بِهَا ... وَأَنْتَ مُضْطَرَّبُ الْأَحْشَاءِ بِالْقَمْرِ
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَتْرِكِ السَّيْرَ الْحَيْثُ إِلَى جَاذِرِ الرُّومِ أَعْتَقْنَا إِلَى الْخَزْرِ
إِنَّ الْقَطُوبَ لَهُ مِنِّي مَقَرٌّ هَوَى ... يَحُلُّ مِنِّي مَحَلَّ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
وَرُبَّ أَمْنَعٍ مِنْهُ صَاحِبًا وَحِمَى ... أَمْسَى وَتَكُنْهُ مِنِّي عَلَى خَطَرِ
جَرَدْتُ فِيهِ جُنُودَ الْعَزْمِ وَانْكَشَفْتُ ... عَنْهُ غِيَابَتُهَا عَنْ نَيْكَةِ هَدَرِ
سَبْحَانَ مَنْ سَبَّحْتَهُ كُلُّ جَارِحَةٍ ... مَا فِيكَ مِنْ طَمَحَانَ الْأَيْرِ وَالنَّظَرِ

أَنْتَ الْمَقِيمُ فَمَا تَعْدُو رَوَاحِلُهُ ... وَأَيْرُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرِ
حدثني أحمد بن إسماعيل قال، حدثني محمد بن إسحاق قال: قلت لأبي تمام: غلامك أطوع للحسن من غلام الحسن لك، قال: لأن غلامي يجد عنده مالا يجد غلامه عندي، أنا أعطي ذلك قِيلاً وَقَالاً، وهو يعطي غلامي مالا. وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا.

حدثني أبو جعفر المهلب قال، حدثني ابن أبي فنين قال: أنشد أبو تمام محمد بن البعيث مدحاً له، وعند محمد غلام خزري، ومع أبي تمام غلام رومي، فجعل محمد يلمحه، فقال أبو تمام هذا الشعر الرائي، والأول أصح. حدثني أبو الحسن الأنصاري قال، حدثني أبي وحدثني أبو الفضل الكاتب المعروف بفنجاج قال: كان الحسن بن وهب يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وهو يزر للوائق، وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وأبي تمام في غلاميهما، فتقدم إلى بعض ولده، وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب، أن يعلموه خبرهما وما كان منهما، قالوا: فعزم غلام أبي تمام على الحجامة، فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك ويسأله التوجيه إليه بنبيذ، فوجه إليه بمائة دينٍ ومائة دينارٍ وخلعةٍ وبخورٍ، وكتب:

لَيْتَ شِعْرِي يَا أَمْلَحَ النَّاسِ عِنْدِي ... هَلْ تَدَاوَيْتَ بِالْحِجَامَةِ بَعْدِي؟
دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ لِي كُلَّ سُوءٍ ... بَاكِرٍ رَائِحٍ وَإِنْ خُنْتُ عَهْدِي
قَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى بِمِبلغِ جَهْدِي ... فَبَدَا مِنْهُ غَيْرُ مَا كُنْتُ أُبْدِي
وَوَخَلَعْتُ الْعِذَارَ فَلْيَعْلَمْ النَّاسُ ... سُبُّ بَائِي إِيَّاكَ أَصْفِي بُودِي
وَلْيَقُولُوا بَمَا أَحْبَبُوا وَإِنْ كُنْتُ ... تَ وَصُولًا وَلَمْ تُرْعِنِي بَصْدًا
مِنْ عَذِيرِي مِنْ مُقَلَّتِيكَ وَمِنْ إِشْرِ ... رَاقٍ نَعْرِ مِنْ تَحْتِ حُمْرَةِ خَدِّي؟
ووضع الرقعة تحت مصلاه، وبلغ محمد بن عبد الملك خبر الرقعة، فوجه إلى الحسن فشغله بشيء من أمره،

ثم أمر من جاءه بالرقعة، فلما قرأها كتب فيها على لسان أبي تمام:
لَيْتَ شِعْرِي عَنْ لَيْتَ شِعْرِكَ هَذَا ... أَبِهْزَلُ تَقُولُهُ أُمُّ بَجْدِي؟
فَلَنْ كُنْتُ فِي الْمَقَالِ مُحِقًّا ... يَا ابْنَ وَهْبٍ لَقَدْ تَطَرَّفْتَ بَعْدِي
وَتَشَبَّهْتَ بِي وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ ... يَا أَنَا الْعَاشِقُ الْمُتَيْمِّمُ وَحْدِي
أَثْرُكَ الْقَصْدَ فِي الْأُمُورِ وَلَوْلَا ... عَثَرْتُ الْهَوَى لِأَبْصَرْتُ قَصْدِي
لَا أَحِبُّ الَّذِي يَلُومُ وَإِنْ كَا ... نَ حَرِيصًا عَلَيَّ هَلَاكِي وَجَهْدِي
وَأَحِبُّ الْأَخَّ الْمُشَارِكَ فِي الْحُبِّ ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ مِثْلُ وَجْدِي
كَنْدِيمِي أَبِي عَلِيٍّ وَحَاشَا ... لَنْدِيمِي مِنْ مِثْلِ شِقْوَةِ جَدِّي
إِنَّ مَوْلَايَ عَبْدَ غَيْرِي وَلَوْلَا ... شَوْمُ جَدِّي لَكَانَ مَوْلَايَ عَبْدِي
سَيِّدِي سَيِّدِي وَمَوْلَايَ مَنْ أَوْ ... رَنْيَ ذَلَّةً وَأَضْرَعَ خَدِّي

ثم قال: ضعوا الرقعة مكانها، فلما قرأها الحسن قال: إنا لله، افتضحنا والله عند الوزير! وأعلم أبا تمام بما كان، ووجه إليه بالرقعة، فلقيا محمد بن عبد الملك وقالوا له: إنما جعلنا هذين سبباً لتكاتبتنا بالأشعار، فقال: ومن يظن بكما غير هذا؟ فكان قوله أشد عليهما.

حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: كنت عند دعبل بن علي وأنا والعمروي سنة خمسٍ وثلاثين بعد قدومه من الشام، فذكرنا أبا تمام، فجعل يثلبه ويزعم أنه يسرق الشعر، ثم قال لغلّامه: يا نفنّف، هات تلك المخلاة، فجاء بمخلاةٍ فيها دفاتر، فجعل يمرها على يده حتى أخرج منها دفترًا، فقال: اقرءوا هذا، فنظرنا فإذا في الدفتر: قال مكنف أبو سلمى من ولد زهير بن أبي سلمى، وكان هجا ذفافة العبسي بأبياتٍ منها:
إِنَّ الضُّرَّاطَ بِهِ تَصَاعَدَ جَدُّكُمْ ... فَتَعَاظَمُوا ضَرْطًا بِنِي الْقَعْقَاعِ
قال: ثم رثاه بعد ذلك فقال:

أَبْعَدَ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَعْدَبُ الدَّهْرُ ... وَمَا بَعْدُهُ لِلدَّهْرِ حُسْنٌ وَلَا عُذْرُ

أَلَا أَيُّهَا النَّاعِي دُفَافَةٌ وَالنَّدَى تَبَعَسَتْ وَشَلَّتْ مِنْ أَنْهَلِكِ الْعَشْرُ
أَتَنْعَى لَنَا مَنْ قَيْسِ عَيْلَانَ صَخْرَةَ ... تَفَلَّقَ عَنْهَا مِنْ جِبَالِ الْعِدَى الصَّخْرُ
إِذَا مَا أَبُو الْعَبَّاسِ خَلَى مَكَانَهُ ... فَلَا حَمَلَتْ أُنْتَى وَلَا نَالَهَا طُهُرُ

وَلَا أَمْطَرَتْ أَرْضًا سَمَاءً وَلَا جَرَتْ ... نُجُومٌ وَلَا لَدَّتْ لِشَارِبِهَا الْحَمْرُ
كَأَنَّ بَنِي الْقَعْقَاعِ يَوْمَ وَفَاتِهِ ... نُجُومٌ سَمَاءً خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَطْرُ
ثَوَّقِيَتِ الْأَمَالَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ... وَأَصْبَحَ فِي شُغْلِ عَنِ السَّقْرِ السَّقْرُ

ثم قال: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة، فأدخلها في شعره. وحدثني محمد بن موسى بهذا الحديث مرةً أخرى ثم قال: فحدثت الحسن بن وهب بذلك، فقال لي: أما قصيدة مكنفٍ هذه فأنا أعرفها، وشعر هذا الرجل عندي، وقد كان أبو تمام ينشدني، وما في قصيدته شيء مما في قصيدة أبي تمام، ولكن دعبلًا خلط القصيدتين، إذ كانتا في وزنٍ واحدٍ، وكانتا مرثيتين، ليكذب علي أبي تمام.

حدثنا عبد الله بن الحسين قال، حدثني وهب بن سعيد قال: جاء دعبل إلى أبي علي الحسن بن وهب في حاجةٍ بعد ما مات أبو تمام، فقال له رجل: يا أبا علي، أنت الذي تطعن علي من يقول:

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقَوْتُ مَعَانِيكُمْ بَعْدِي ... وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ
وَأُنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِنْهَامِ دَارِ كَمْفِيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَي سَاكِنِي نَجْدٍ
فصاح دعبل: أحسن والله، وجعل يردد:

فِيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَي سَاكِنِي نَجْدٍ

ثم قال: رحمه الله، لو ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنه أشعر الناس.

ولهذا الشعر خبر: حدثني عبد الله بن المعتز قال، جاءني محمد بن يزيد النحوي فاحتبسته، فأقام عندي، فجرى ذكر أبي تمام، فلم يوفه حقه؛ وكان في المجلس رجل من الكتاب نعماني، ما رأيت أحداً أحفظ لشعر أبي تمام منه، فقال له: يا أبا العباس، ضع في نفسك من شئت من الشعراء، ثم انظر، أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الراققي يعتذر إليه:

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقَوْتُ مَعَانِيكُمْ بَعْدِي ... وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ
وَأُنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِنْهَامِ دَارِ كَمْفِيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَي سَاكِنِي نَجْدٍ
ثم مر فيها حتى بلغ إلى قوله في الاعتذار:

أَتَانِي مَعَ الرُّكْبَانِ ظَنٌّ ظَنَّتُهُ ... لَفَفْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ
لَقَدْ نَكَبَ الْغَدْرُ الْوَفَاءَ بِسَاحَتِي ... إِذَنْ، وَسَرَحْتُ اللَّذَمَّ فِي مَسْرَحِ الْحَمْدِ
جَحَدْتُ إِذَنْ كَمٍ مِنْ يَدِ لِكَ شَاكِلْتَيْدِ الْقُرْبِ أَعَدَّتْ مُسْتَهَامًا عَلَي الْبُعْدِ
وَمِنْ زَمَنِ الْبَسْتَنِيهِ كَأَنَّهُ ... إِذَا ذُكِرَتْ أَيَامُهُ زَمَنِ الْوَرْدِ

وكيف وما أخللت بعدك بالحجبي ... وأنت فلم تُخلِلْ بِمَكْرَمَةٍ بَعْدِي
أُسْرِبُلُ هُجْرِ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ ... إِذَنْ لَهْجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي؟
كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى ... مَعِي، وَمَتَى مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي
فَإِنْ يَكُ جُرْمٌ عَنِّي أَوْ تَكُ هَفْوَةٌ ... عَلَي خَطِيئَتِي فَعُذْرِي عَلَي عَمْدِ

فقال أبو العباس محمد بن يزيد: ما سمعت أحسن من هذا قط، ما يهضم هذا الرجل حقه إلا أحد رجلين: إما جاهل بعلم الشعر ومعرفة الكلام، وإما عالم لم يتبحر شعره ولم يسمعه. قال أبو العباس عبد الله بن المعتز:

وما مات إلا وهو منتقل عن جميع ما كان يقوله، مقر بفضل أبي تمام وإحسانه.
أما قوله:

أَلْبَسُ هَجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ ... إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي
فهو منقول من شعر حسن لا يفضلُه شعر.

حدثني محمد بن زكريا الغلابي قال، حدثني عبيد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال: أتني
الحجاج بجماعة من الخوارج من أصحاب قطري، وفيهم رجل كان له صديقاً، فأمر بقتلهم، وعفا عن ذلك
الرجل ووصله وخلي سبيله، فمضى إلى قطري فقال له قطري: عاود قتال عدو الله الحجاج، فقال: هيهات!
غل يداً مطلقها، واسترق رقبة معتقها، ثم قال:

أَقَاتِلُ الْحَجَّاحَ عَنْ سُلْطَانِهِ ... بِيَدِ تَقَرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَانَهُ
إِنِّي إِذَنْ لِأَخُو الدَّنَاءَةِ وَالَّذِي ... عَفَّتْ عَلَى إِحْسَانِهِ جَهْلَانَهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاعَهُ ... فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَانَتُهُ؟
أَقُولُ جَارَ عَلَيَّ؟ لَا، إِنِّي إِذَنْ ... لِأَحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وِلَانَتُهُ
وَيُحَدِّثُ الْأَقْوَامَ أَنَّ صَنِيعَةً ... غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنْظَلْتُ نَخْلَانَتُهُ؟
هَذَا وَمَا طَيَّبِي بَجَيْنِ إِنِّي ... فِيكُمْ لِمَطْرَقٍ مَشْهَدٍ وَعَلَانَتُهُ

وجدت بخط أحمد بن إسماعيل بن الخصيب أن محمد بن عبد الملك أوصل إلى الواثق قصيدة لأبي تمام يمدحه
بها أولها:

وَأَيُّ الْمَنَازِلِ إِثْمًا لَشُجُونُ ... وَعَلَى الْعُجُومَةِ إِثْمًا لَتَيْنُ
فقرئت عليه، فلما بلغ إلى قوله:

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ قِلَادَةٌ ... سِمْطَانٍ فِيهَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكُونُ
حُذَيْتِ حِذَاءَ الْحَضْرَمِيَّةِ أُرْهَفَتْ ... وَأَجَابَهَا التَّخْصِيرُ وَالتَّلْسِينُ
إِنْسِيَّةً وَحَشِيَّةً كَثُرَتْ بِهَا ... حَرَكَاتُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهِيَ سَكُونُ
أَمَّا الْمَعَانِي فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا ... نُصِّتْ وَلَكِنَّ الْقَوَافِي عَوْنُ
أَحْدَاكَهَا صَنَعُ الصَّمِيرِ يَمُدُّهُ ... جَفْرٌ إِذَا نَصَبَ الْكَلَامَ مَعِينُ
وَيُسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ ... هُوَ بَابِنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونُ
يَرْمِي بِهَمَّتِهِ إِلَيْكَ وَهَمَّهُ ... أَمَلٌ لَهُ أَبَدًا عَلَيْكَ حُرُونُ
وَلَعَلَّ مَا يَرْجُوهُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ ... بِكَ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا سَيَكُونُ

فقال: ادفع إليه مائتي دينار، فقال محمد: إنه قوى الأمل واسع الشكر، قال: فأضعفها له. وقد روينا من غير
هذه الجهة أنه أمر له بمائة ألف درهم.

وأنشدني محمد بن داود لأبي تمام في آل وهب ما أستحسنه:

كُلُّ شَعْبٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهَبٍ ... فَهُوَ شِعْبِي وَشَعْبُ كُلِّ أَدِيبٍ

إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ الْحَرِّ ... ي وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ
ولو كان هذا البيت الثاني في مدح آل الرسول - عليهم السلام - والنفجع لما ناهم يوم كربلاء وبعده،
لكان فيه أشعر الناس.

وقد روى مسعود بن عيسى قال، حدثني صالح غلام أبي تمام، المنشد كان لشعر أبي تمام، وكان حسن
الوجه، قال: دخل أبو تمام على الحسن بن وهب، وأنا معه، وعلى رأسه جاريةً ظريفةً فأوماً إليها الحسن
يغريها بأبي تمام، فقالت:

يَا ابْنَ أَوْسٍ أَشْبَهْتَ فِي الْفِسْقِ أَوْسًا وَاتَّخَذْتَ الْغُلَامَ الْفُلًّا وَعِرْسًا
فقال أبو تمام:

أَبْرَقْتَ لِي إِذْ لَيْسَ لِي بَرَقٌ ... فَتَزَحَّحِي مَا عِنْدَنَا عِشْقُ
مَا كُنْتُ أَفْسُقُ وَالشَّبَابُ أَحْيَى ... أَفَحِينَ شَبْتُ يَجُوزُ لِي الْفِسْقُ؟
لِي هِمَّةٌ عَن ذَاكَ تَرُدُّعِي ... وَمُرْكَبٌ مَا خَانَهُ عِرْقُ

أخبار أبي تمام مع آل طاهر بن الحسين

حدثنا محمد بن إسحاق النحوي قال، حدثنا أبو العيناء عن علي بن محمد الجرجاني قال: اجتمعنا بباب عبد
الله بن طاهر من بين شاعر وزائر، ومعنا أبو تمام، فحجبتنا أياماً، فكتب إليه أبو تمام:

أَيُّهَا الْعَزِيزُ قَدْ مَسَّنَا الضَّرُّ ... جَمِيعًا وَأَهْلُنَا أَشْتَاتُ
وَلَنَا فِي الرَّحَالِ شَيْخٌ كَبِيرٌ ... وَكَدَيْنَا بِضَاعَةَ مُرْجَاةٍ

قَالَ طُلَّابُهَا فَأَضْحَتْ خَسَارًا ... فَتَجَارَأْتُنَا بِمَا تُرْهَاتُ
فاحتسب أجرنا وأوف لنا الكيل ... وصدق فإننا أموات

فضحك عبد الله لما قرأ الشعر، وقال: قولوا لأبي تمام لا تعاود مثل هذا الشعر، فإن القرآن أجل من أن
يستعار شيء من ألفاظه للشعر، قال: ووجد عليه.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الرازي قال، حدثني محمد بن إسحاق الختلي، وكان يتوكل لعبد الله بن
طاهر، قال: لما قدم أبو تمام على عبد الله بن طاهر أمر له بشيء لم يرضه ففرقه، فغضب عليه لاستقلاله ما
أعطاه، وتفريقه إياه، فشكا أبو تمام ذلك إلى أبي العميثل شاعر آل طاهر، وأخص الناس بهم، فدخل على
عبد الله بن طاهر فقال له: أيها الأمير، أتغضب علي من حمل إليك أمله من العراق، وكذ فيك جسمه
وفكره، ومن يقول فيك:

يَقُولُ فِي قَوْمَسٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ ... مِنَّا السُّرَى وَخَطَى الْمَهْرِيَّةَ الْقُودِ
أَمْطَلِعَ الشَّمْسِ تَنْوِي أَنْ تَوُمَّ بِنَا؟ ... فَقُلْتُ: كَلَّا، وَلَكِنْ مَطَّلِعَ الْجُودِ

قال: فدعا به وناداه يومه ذلك، وخلع عليه، وهب له ألف دينار وخاتما كان في يده له قدر.

حدثني أبو عبد الله محمد بن طاهر قال: لما دخل أبو تمام أبرشهر، هوى بها مغنيةً كانت تغنى بالفارسية،

وكانت حاذقة طيبة الصوت، فكان عبد الله كلما سأل عنه أخبر أنه عندها، فقص عنده، قال: وفيها يقول أبو تمام:

أَيَا سَهْرِي بَلِيلَةَ أْبْرَشَهْرٍ ... ذَمَمْتَ إِلَيَّ يَوْمًا فِي سِوَاهَا
شَكَرْتُكَ لَيْلَةً حَسَنَةً وَطَابَتْ ... أَقَامَ سُرُورُهَا وَمَضَى كَرَاهَا
إِذَا وَهَدَاتُ أَرْضٍ كَانَ فِيهَا ... رِضَاكَ فَلَا تَحِنُّ إِلَيَّ رُبَاهَا
سَمِعْتُ بِهَا غِنَاءً كَانَ أَحْرَى ... بَانَ يَفْتَادُ نَفْسِي مِنْ غِنَاهَا
وَمُسْمِعَةٍ تَقْوَتْ السَّمْعَ حُسْنًا ... وَلَمْ تُصْمِمَهُ لَا يُصْمِمُ صَدَاهَا
مَرَّتْ أَوْتَارَهَا فَشَجَّتْ وَشَاقَتْ ... فَلَوْ يَسْطِيعُ سَامِعُهَا فَدَاهَا
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَايِنَهَا وَلَكِنْ ... وَرَتَّ كَبِدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا
فَبِتُّ كَأَنَّي أَعْمَى مُعْنَى ... يُحِبُّ الْغَانِيَاتِ وَمَا يَرَاهَا

وقد أحسن أبو تمام في هذه الأبيات، على أن الحسين بن الضحك قد قال، ورواه قوم لأبي نواس ولا أعلمه له، ولكن أبا جعفر المهلب أنشدنيهِ للحسين، وقد سمع فارسياً يعني:

وَصَوْتُ لَبِي الْأَحْرَا ... رِ أَهْلِ السَّيْرَةِ الْحُسْنَى
شَجِي يَأْكُلُ الْأَوْتَا ... رَ حَتَّى كُلُّهَا يَفْنَى
فَمَا أَذْرِي الْيَدُ الْيُسْرَى ... بِهِ أَشَقَى أُمِّ الْيَمْنَى؟
وَمَا أَفْهَمُ مَا يَعْنِي ... مُعْنِينَا إِذَا غَنَى
سِوَى أَنِّي مِنْ حَبِي ... لَهُ أَسْتَحْسِنُ الْمَعْنَى

ويروى: - أني من عجبني به - وأول من نطق بهذا المعنى وزعم أن أعجمياً شاقه وشجاه حميد بن ثور، إلا أنه وصف صوت حمامة:

عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غِنَاؤُهَا ... فَصِيحًا وَلَمْ تَفْعَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا!
وَلَمْ أَرَّ مَحْقُورًا لَهُ مِثْلُ صَوْتِهَا ... أَحَنَّ وَ أَجْوَى لِلْحَزِينِ وَأَكْلَمًا
وَلَمْ أَرَّ مِثْلِي هَاجَهُ الْيَوْمَ مِثْلُهَا ... وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمًا
وَأَمَا قَوْلُهُ:

وَمُسْمِعَةٍ تَقْوَتْ السَّمْعَ حُسْنًا

فهو من قولهم: الغناء غذاء الاسماع، كما أن الطعام غذاء الأبدان.

حدثني محمد بن سعيد وغيره عن حماد بن إسحاق قال: كان مروان بن أبي حفصة يجيء إلى جدي إبراهيم، فإذا تغدى قال: قد أطعمتمونا طيباً، فأطعموا آذاننا حسناً.

وقال ابن أبي طاهر: قلت لأبي تمام: أعنيت بقولك أحداً:

فَبِتُّ كَأَنَّي أَعْمَى مُعْنَى ... يُحِبُّ الْغَانِيَاتِ وَمَا يَرَاهَا

فقال: نعم، عنيت بشار بن برد الضرير، قال: وأنا أحسبه أراد قوله:

يا قَوْمِ أذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأُذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا
قَالُوا: بِمَنْ لَا تَرَى تَهْدِي؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: الْأُذُنُ كَالْعَيْنِ تُوفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا
حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال: مات ابنان صغيران لعبد الله بن طاهر في يومٍ واحد، فدخل عليه أبو تمام
فأنشده:

مَا زَالَتْ الْإَيَّامُ تُخْبِرُ سَاتِلًا ... أَنْ سَوْفَ تَفْجَعُ مُسْهَلًا أَوْ عَاقِلًا
فلما بلغ إلى قوله:

مَجْدٌ تَأَوَّبَ طَارِقًا حَتَّى إِذَا ... قُلْنَا أَقَامَ الدَّهْرَ أَصْبَحَ رَاحِلًا
نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا يَطْلُعَا ... إِلَّا ارْتِدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْفِلَا
إِنَّ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا ... لِأَجَلٍ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلًا
لَوْ يَنْشَأَنَّ لَكَانَ هَذَا غَارِبًا ... لِلْمَكْرَمَاتِ وَكَانَ هَذَا كَاهِلًا

كذا أنشده، وكذا ينشده الناس، والذي أقرأه أبو مالك عون بن محمد الكندي، وقال: قرأته على أبي تمام
- لو يُنْسَانِ - أي: لو يؤخران، وهو الأجود عندي.

لَهْفَى عَلَى تِلْكَ الْمَخَائِلِ فِيهِمَا ... لَوْ أُمْهَلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا
لَعَدَا سُكُونُهُمَا حِجِّي وَصِبَاهُمَا ... كَرَمًا وَتِلْكَ الْأَرْيَجِيَّةُ نَائِلًا
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ ... أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا

كذا أنشد والصحيح - وصباهما حلما - وهو أجود من جهات، واحدة: لأن - نائلاً - قد ناب عن
الكرم، فيجئ بالحلم ليجمع أصناف المدح. والأخرى: أن الحلم أحسن جواراً للحجى وهو العقل من
الكرم. والأخرى: أنه جعل سكونهما حجى أي عقلاً، وأريجتهم نائلاً، فيجب أن يكون الصبا حلماً، حتى
لا يكون تلك الفعلة إلا الحلم.

وإن أنصف من يقرأ هذا وأشباهه من تفسيرنا، علم أن أحداً لم يستقل بمثله، ولا علم حقيقة الكلام كما
علمناه، إلا أن يتعلمه من هذه الجهة متعلم ذكي فهم فيبلغ فيه. وهذا دليل على حنق أبي تمام، وجهل
الناس في الرواية، وهذا داء قديم. قال جرير لبعض الرواة: أسألك بالله من أشعر عندك: أنا أو الفرزدق؟
فقال: والله لأصدقك، أما عند خواص الناس وعلمائهم فهو أشعر منك، وأما عند عامة الناس ودهمائهم
فإنك أشعر. فقال: غلبته ورب الكعبة وتقدمته، متى يقع الخاص من العام؟.

قال: فلما سمع هذا عبد الله، وكان يتبعته كثيراً، قال: قد أحسنت ولكنك تؤسفني وليس تعزيني، فلما قال:

قُلْ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ لَقِيتَ مُوقِرًا ... مِنْهُ بَرِيْبِ الْحَادِثَاتِ حُلَا حِلًا
إِنْ تُرْزَ فِي طَرْفِي نَهَارٍ وَاحِدٍ ... رُزْعَيْنِ هَاجَا لَوْعَةً وَبِلَابِلًا
فَالْتَقُلْ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ ... إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بَارِلًا
شَمَخَتْ خِلَالِكَ أَنْ يُوسِيكَ امْرُؤًا أَوْ أَنْ تُذَكَّرَ نَاسِيًا أَوْ غَافِلًا
إِلَّا مَوَاعِظَ قَادَهَا لَكَ سَمْحَةٌ ... إِسْجَاحُ لُبِّكَ سَامِعًا أَوْ قَائِلًا
قال: الآن عزيز، وأمر فكتبت القصيدة ووصله.

وهذا فإنما احتذى به أبو تمام قول الفرزدق، وقد ماتت له جارية نفساء، فوجد في بطنها صبي ميت:

وَجَفَنَ سِلَاحٍ قَدْ رَزَّتْ فَلَمْ أَنْحَ ... عَلَيْهِ وَلَمْ أُبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا

وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ ... لَوْ أَنَّ الْمَنَابِيَا أُنْسَأَتْهُ لِيَالِيَا!

وليس كلام أحسن من قوله: - وجفن سلاح قد رزت - وتشبيهه هذا.

حدثني أبو بكر عبد الرحمن بن أحمد قال: سمعت أبا علي الحسين يقول: ما كان أحد أشعف بشعر أبي تمام من إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وكان يعطيه عطاءً كثيراً.

حدثنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال، حدثني أبي قال: دخل أبو تمام على إسحاق بن إبراهيم، فأنشده مدحاً له وجاء إسحاق بن إبراهيم الموصللي إلى إسحاق مسلماً عليه، فلما استؤذن له، قال له أبو تمام: حاجتي أيها الأمير أن تأمر إسحاق أن يستمع بعض قصائدي فيك، فلما دخل قال له ذلك، فجلس وأنشده عدة قصائد، فأقبل إسحاق على أبي تمام فقال: أنت شاعر مجيد محسن كثير الاتكاء على نفسك، يريد أنه يعمل المعاني. وكان إسحاق شديد العصبية للأوائل، كثير الاتباع لهم.

ويروي أن عبد الله بن طاهر حجه فكتب إليه:

صَبْرًا عَلَى الْمَطْلِ مَا لَمْ يَتْلُهُ الْكَذِبُ ... وَلِلْحُطُوبِ إِذَا سَامَحَتْهَا عَقْبُ

عَلَى الْمَقَادِيرِ لَوْمْ إِنْ رُمِيَتْ بِهَا ... مِنْ قَادِرٍ وَعَلَى السَّعْيِ وَالطَّلْبِ

يَأْتِيهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَتِهِ ... وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَتَبُ

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَدٍ عِنْدَكَ لِي أَمَلًا ... إِنْ السَّمَاءُ تُرَجِّي حِينَ تَحْتَجِبُ

ويروي أنه كتب بها إلى أبي دلف، وقيل إلى ابن أبي دؤاد، وقيل في إسحاق.

حدثني أحمد بن محمد البصري قال، حدثني فضل اليزيدي قال: لما صار أبو تمام إلى خراسان مدح عبد الله بن

طاهر كرهها، وأقبل الشتاء، فاشتد عليه أمر البرد، فقال ينم الشتاء ويمدح الصيف:

لَمْ يَبْقَ لِلصَّيْفِ لَا رَسْمٌ وَلَا طَلَلٌ ... وَلَا قَشِيبٌ فَيُسْكَسَى وَلَا سَمَلٌ

عَدْلًا مِنَ الدَّمْعِ أَنْ يَبْكِيَ الْمَصِيفَ كَمَا يَبْكِي الشَّبَابُ وَيُبْكِي اللَّهُوَ وَالغَزْلُ

يُمْنَى الزَّمَانِ طَوَتْ مَعْرُوفَهَا وَعَدَّتْ سِرَاهُ وَهِيَ لَنَا مِنْ بَعْلِهِ بَدَلٌ

وهي قصيدة سنذكرها في شعره، فبلغ شعره عبد الله بن طاهر، فعجل جائزته وصرفه.

حدثني أحمد بن إسماعيل بن الخصب قال، حدثني عبد الله بن أحمد النيسابوري، وكان أديباً شاعراً، قال:

استبطن أبو تمام صلاة عبد الله بن طاهر، فكتب إلى أبي العميشل شاعر عبد الله، وكان دفع إليه رقعة ليوصلها

إلى عبد الله:

لَيْتَ الطُّبَّاءَ أَبَا الْعَمِيثَلِ خَيْرَتْ ... خَبْرًا يُرَوِّي صَادِيَاتِ الْهَامِ

إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا الْحَوَادِثُ أَظْلَمَتْ ... نُورُ الزَّمَانِ وَحَلِيَّةُ الْإِسْلَامِ

وَاللَّهُ مَا يَلْرِي بِأَيَّةِ حَالَةٍ ... يُبْنِي مُجَاوِرُهُ عَلَى الْأَيَّامِ

أَلِمَّا يُجَامِعُهُ لَدَيْهِ مِنَ الْغِنَى ... أَمْ مَا يُفَارِقُهُ مِنَ الْإِعْدَامِ؟

وَأَرَى الصَّحِيفَةَ قَدْ عَلَتْهَا فَتْرَةٌ فَتَرَتْ لَهَا الأَرْوَاحُ فِي الأَجْسَامِ
إِنَّ الحِيَادَ إِذَا عَلَتْهَا صَنْعَةٌ ... رَأَقَتْ ذَوِي الأَدَابِ وَالأَفْهَامِ
لِتَزِيدَ الأَبْصَارَ فِيهَا فُسْحَةً ... وَتَأْمُلُ بِإِشَارَةِ القُوَامِ
لَوْلَا الأَمِيرُ وَأَنَّ حَاكِمَ رَأْيِهِ ... فِي الشَّعْرِ أَصْبَحَ أَعْدَلَ الحُكَّامِ
لَنَكَلْتُ آمَالِي لَدَيْهِ بِأَسْرَهَا ... وَلَكَانَ إِشْدَادِي خَيْرَ كَلَامِي
وَلَخِفْتُ فِي تَفْرِيقِهِ مَا بَيْنَنَا ... مَا قِيلَ فِي عَمْرٍو وَفِي الصَّمْصَامِ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو العَمَيْشِل:

أَفْهَمْتَنَا فَتَقَعْتَ بِالأَفْهَامِ ... فَاسْمَعْ جَوَابَكَ يَا أَبَا تَمَامِ
إِنَّ الطَّبَّاءَ سَنِيحُهَا كَبِيرِيحُهَا ... فِي جَهْلِهَا بِتَصَرُّفِ الأَقْوَامِ
جَفَّتْ بِأَيَّامِ الفَتَى وَبَرَزَ قَهْ ... فِي اللُّوْحِ قَبْلُ سَوَابِقِ الأَقْلَامِ
قَدْ كُنْتُ حَاضِرَ كُلِّ مَا حَبَّرْتَهُ ... مِنْ مَنْطِقِ مُسْتَحْكَمِ الإِبْرَامِ
فِيهِ لَطَائِفُ مِنْ قَرِيضِ مُونِقِ ... نَطَقَتْ بِذَلِكَ أَلْسُنُ الحُكَّامِ
مُلَسُّ المَثُونِ لَدَى السَّمَاعِ كَأَنَّهَا ... لَمَسًا وَمَنْظَرَةً مُتُونُ سِلَامِ

وَشَهِدْتُ مَا قَالَ الأَمِيرُ بِعَقْبِهِ ... مِنْ أَنَّهُ عَسَلَ بِمَاءِ عَمَامِ
وَشَهِدْتُ أَجْمَلَ مُحَضَّرٍ مِنْ مَعْشَرٍ ... مَنَحُوا كَرِيمَ القَوْلِ نَجْلَ كِرَامِ
فَعَلَيْكَ مَحْمُودُ الأَنَاءَةِ، إِنَّهَا ... وَالنُّجْحَ فِي قَرَنِ عَلَى الأَيَّامِ
وَذَكَرْتَ عَمْرًا قَبْلَنَا وَفِرَاقَهُ ... صَمْصَامَةَ النَّجْدَاتِ وَالإِقْدَامِ
وَاللَّهُ يَنْظِمُنَا بِعِزِّ أَمِيرِنَا ... وَطَوَالَ مُدَّتِهِ أَتَمَّ نِظَامِ
وَلَهُ فِي مَقَامِهِ بَخْرَسَانَ وَتَكَرَّهَهُ إِيَاهَا أَشْعَارًا سَنَدَكَرَهَا فِي شِعْرِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

أخبار أبي تمام مع أبي سعيد الثغري

أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري

الطائي الحميدي

حدثني عبد الله بن الحسين بن سعد قال، حدثني البحتري قال: أبو سعيد الثغري طائي من أهل مرو، وكان
من قواد حميد الطوسي، ومن أول شعر مدحه به أبو تمام قوله:
مَنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِييَا ... فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَتِي أَنْ تَصُوبَا
قال: وما أخذ أبو تمام من أحدٍ كما أخذ منه، ليس أنه كان يكثر له، ولكن كان يديم ما يعطيه.
حدثني عبد الرحمن بن أحمد بن الوليد قال، حدثني أبو أحمد محمد بن موسى بن حماد البربري قال، حدثني
صالح بن محمد الهاشمي قال: دخلت على أبي سعيد الثغري فأخرج لي كتاباً من أبي تمام إليه، ففتحته فإذا فيه:

إِنِّي أَتَنِّي مِنْ لَدُنْكَ صَحِيفَةً ... غَلَبَتْ هُمُومَ الصَّدْرِ وَهِيَ غَوَالِبُ
وَطَلَبَتْ وَدِّي وَالتَّنَائِفُ بَيْنَنَا ... فَتَدَاكَ مَطْلُوبٌ وَمَجْدُكَ طَالِبُ
وذكر أبياتاً سنذكرها في شعره تماماً لهذا، ثم قال لي: كتبت إلى أبي تمام كتاباً، وقرنته ببرٍ له، فجعل جوابه
هذا الشعر، ولم يخاطبني بحرفٍ سواه.

حدثني عون بن محمد قال: قدم على أبي تمام رجل من إخوانه، وكان قد بلغه أنه قد أفاد وأثرى، فجاءه
يستميحه، فقال له أبو تمام: لو جمعت ما آخذ ما احتجت إلى أحدٍ، ولكني آخذ وأنفق، وسأحتال لك،
فكتب إلى أبي سعيد بقصيدة منها:

لَا زِلْتَ مِنْ شُكْرِي فِي حُلَّةٍ ... لَا بَسْهَا فِي سَلْبٍ فَاخِرٍ
يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعَ أَسْمَاعُهُ ... كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ
لِي صَاحِبٌ قَدْ كَانَ لِي مُؤْنَسًا ... وَمَأَلْفًا فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ
تَحْمِلُ مِنْهُ الْعَيْسُ أُعْجُوبَةً ... تُجَدِّدُ السَّخْرِيَّ لِلْسَّخِرِ
ذَا ثَرَوَةٌ يَطْلُبُ مِنْ سَائِلٍ ... وَمُفْحَمًا يَأْخُذُ مِنْ شَاعِرٍ!
فَصَادَفْتُ مَالِي بِإِقْبَالِهِ ... مَنِيَّةً مِنْ أَمَلٍ عَائِرِ
فَشَارِكِ الْمَقْمُورَ فِيهِ وَلَا ... تَكُنْ شَرِيكَ الرَّجُلِ الْقَامِرِ
فَرَفِدْكَ الرَّائِرَ مَجْدٌ وَلَا ... كَرَفِدِكَ الرَّائِرَ لِلرَّائِرِ

فوجه لأبي تمام بثلاثمائة دينار، وللزائر بمائتي دينار، قال: فأعطاه أبو تمام خمسين ديناراً حتى شاطره.

أخبار أبي تمام مع أحمد بن المعتصم

حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال، حدثني أبي قال، شهدت أبا تمام ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته التي
مدحه بها:

مَا فِي وَفُوكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ ... تَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَدْرَاسِ
فَلَعَلَّ عَيْتِكَ أَنْ تُعِينَ بِمَائِهَا ... وَالِدَّمَعُ مِنْهُ خَاذِلٌ وَمَوَاسِي
والناس يروون هذا - أن تعين بمائها - وهو تصحيف، فلما قال:
أُبَلِّتَ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ ... فِيهِ وَأَكْرَمَ شِيمَةٍ وَنَحَاسِ
إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ... فِي حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ
قال له الكندي، وكان حاضراً وأراد الطعن عليه: الأمير فوق من وصفت، فأطرق قليلاً، ثم زاد في القصيدة
بيتين لم يكونا فيها:

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ ... مَثَلًا شَرُودًا فِي التَّدَى وَالْبَاسِ

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس
قال: فعجبنا من سرعته وفطنته، وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا، وليس بشيء، وهذا هو الصحيح.

ويروى أنه عيب عليه قوله، وقد أنشد هذه القصيدة التي فيها:
شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتَ مُشِيبَ الرَّ... أَسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ
فَرَادَ فِيهَا مِنْ لِحْظَتِهِ:

وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ ... وَنَعِيمِ طَلَائِعِ الْأَجْسَادِ
حدثني أحمد بن إسماعيل قال: حدثني عبد الله بن الحسين ولست أدري من عبد الله هذا قال: سمعت أبا تمام
ينشد أحمد بن المعتصم في علةٍ اعتلها:

أَقْلَقَ جَفْنَ الْعَيْنَيْنِ عَنْ غَمُضِهِ ... وَشَدَّ هَذَا الْحَشَا عَلَى مَضْضِهِ
شَجِيَّ بَمَا عَنْ لِلْأَمِيرِ أَبِي آلٍ ... عَبَّاسٍ أَمْسَى نَصَبًا لِمَعْتَرِضِهِ
مَنْ الْأَلَى نَسْتَجِيرُ مِنْ شَرِّ الدَّهِّ ... رِبِهِمْ إِنْ أَلَمَّ أَوْ جَرَضَهُ
صَاغَهُمْ ذُو الْجَلَالِ مِنْ جَوْهَرِ الْمَجِّ ... دِوَاغِ الْأَنَامِ مِنْ عَرَضِهِ
سَهْمٍ مِنَ الْمَلِكِ لَا يُضِيعُهُ ... بَارِيهِ حَتَّى يَهْتَرَّ فِي عَرَضِهِ
وهذه من أحسن كنايةٍ في التعريض بالخلافة:

صِحَّتُهُ صِحَّةُ الرَّجَاءِ لَنَا ... فِي حِينِ مُلْتَأَتِهِ وَمُنْتَقِضِهِ
فَإِنْ نَجِدَ عِلَّةً نَعْمَ بِهَا ... حَتَّى كَأَنَّا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهِ
فقال له أحمد بن المعتصم: ما أبين العلة عليك! فقال: إنما علةٌ قلبٍ تميمٍ الخاطر، وتسد الناظر، وتبذل
الماهر!.

أخبار أبي تمام مع مخلد بن بكار الموصلية

حدثني أحمد بن إبراهيم قال، حدثني بدر غلام مخلد قال: دخل أبو تمام الحمام ومخلد فيه، وإذا عليه شعر
كثير، كأنه قد ألبس مسحاً، فقال له أبو تمام: ما هذا؟! قال: حذراً من لسانك أن ينسبني إلى البغاء.
حدثني أبو سليمان النابلسي قال، قيل لأبي تمام: قد هجأك مخلد، فلو هجوته؟ قال: الهجاء يرفع منه، قيل:
أليس هو شاعراً؟ قال: لو كان شاعراً ما كان من الموصل. يعني أن الموصل لم تخرج شاعراً. قال أبو
سليمان: وأصل مخلد من الرحبة ثم أقام بالموصل.

حدثني أحمد بن محمد البصري، غلام خالد الحذاء الشاعر وراويته قال، حدثني الخليل الشاعر القرشي قال:
كان أول شعر هجا به مخلد أبا تمام قوله:

أَنْتَ عِنْدِي عَرَبِيٌّ ... الْأَصْلُ مَا فِيكَ كَلَامُ
عَرَبِيٌّ عَرَبِيٌّ ... أَجَايِيٌّ مَا تُرَامُ
شَعْرٌ فَخَذَيْكَ وَسَاقِيكَ ... حُرَامِيٌّ وَتَمَامُ
وَضُلُوعُ الشَّلْوِ مِنْ صَدِّ ... رِكَ نَيْعٌ وَبِشَامُ
وَقَلْدِي عَيْنِيكَ صَمْعٌ ... وَنَوَاصِيكَ تَغَامُ
لَوْ تَحَرَّكَتَ كَذَا لَانَ ... جَهَلْتُ مِنْكَ نَعَامُ

وظبَاءٌ مُخْصَبَاتٌ ... وَيَرَابِيعُ عِظَامٍ
أَنَا مَا ذُنْبِي إِنْ خَا ... لَفَنِي فِيكَ الْأَنَامُ؟
وَأَنْتَ مِنْكَ سَجَابَا ... تَبَطِّيَاتٌ لِنَامٍ
وَقَفْنَا يَحْلِفُ أَنْ مَا ... عَرَّقْتَ فِيكَ الْكِرَامُ
ثُمَّ قَالُوا: جَاسِمِي ... مِنْ بَنِي الْأَنْبَاطِ حَامٍ
كَذَبُوا، مَا أَنْتَ إِلَّا ... عَرَبِيٌّ مَا تُضَامُ
بَيْتُهُ مَا بَيْنَ سَلَمَى ... وَحَوَالِيهِ سِلَامُ
وَلَهُ مِنْ إِرْثِ آبَا ... عِيسَى وَسِهَامُ
وَنَخِيلٌ بِاسِقَاتٍ ... قَدْ دَنَا مِنْهَا صِرَامُ
أَنْتَ عِنْدِي عَرَبِيٌّ ... عَرَبِيٌّ وَالسَّلَامُ

وأنشدني أبو جعفر مولى آل سليمان بن علي لمخلد في أبي تمام:
انظُرْ إِلَيْهِ وَإِلَى خُبَيْتِهِ ... كَيْفَ تَطَايَا وَهُوَ مَنشُورُ
ثُمَّ عَلَى طَاقٍ شَخِيحِ الْقَوَى ... نَسْبُهُ وَاللُّؤْمُ مَضْفُورُ

وَيْلَكَ، مَنْ دَلَّكَ فِي نَسْبِهِ ... قَلْبِكَ مِنْهَا الدَّهْرُ مَدْعُورُ
لَوْ ذُكِرْتَ طَاءً عَلَى فَرَسِخٍ ... أَظْلَمَ فِي نَاطِرِكَ الثُّورُ
وأنشدني أبو سليمان الضرير لمخلد في أبي تمام:

لَوْ اِمْتَحَنَتْ وَبْرَةً وَضَبًّا ... وَامْتَشَّتْ الرُّبُوعَ نِيًّا صُلْبَا
وَامْتَصَّتْ الحَنْظَلَ غَضًّا رَطْبًا ... وَلَمْ تَلْدُقْ مَاءً نَفَاحًا عَدْبَا
وَبُلْتَ بَوْلَ جَمَلٍ قَدْ هَبَّا ... وَلَمْ تُرْمِ إِلَّا الْجَمَالَ كَسْبَا
ثُمَّ قَعَدْتَ القُرْفُصَا مُنْكَبًا ... تَحْكِي عَرَابِيَّ فَلَاةٍ قَلْبَا
إِنْ دَخَلَ الإِيوَانَ صَاحِ الكَرْبَا ... حَتَّى يَحُلَّ جَعَجَعَانًا رَحْبَا
وَلَوْ نَكَحْتَ حَمِيرًا وَكَلْبَا ... وَقَيْسَ عَيْلَانَ الكِرَامِ العُلْبَا
بِالشَّامِ حَيْثُ زَجْرُهَا يُلْبِي ... لَا حَيْثُ أَضْحَى النَّسْبُ المُرْبِي
يُصْبِحُ عَبْدًا وَيُورُخُ رَبًّا ... ثُمَّ اتَّخَذْتَ اللَّاتَ فِينَا رَبًّا
وَلَمْ تَسْمِ القُطْنَ إِلَّا عَطْبَا ... وَقُلْتَ لِلْعَيْرِ البَلِيدِ حَوْبَا
مَا كُنْتَ إِلَّا تَبْطِيًا قَلْبَا ... لَوْ نَقَرَ الصَّخْرَ أَفَاضَ غَرْبَا
حَتَّى يُسِيحَ لِلنَّبَاتِ شَرْبَا ... وَيُنْبِتَ الحَبَّ بِهِ وَالْقَضْبَا
هَيَّجَتْ مِنِّي شَاعِرًا أَرَبًا ... يُدِيرُ فِي حُسَامًا عَضْبَا
مُهَنَّدًا مَدَاحَةَ مِسْبَا ... يَلْحَبُ أَعْرَاضَ اللِّثَامِ لِحْبَا

وهذا الفن قد سبق لمخلد إليه: قال أبو نواس في أبي خالد الفارسي، وخرج إلى البدو شهرين فصار فميريا،

وعاد فأنكر الميازيب، فقال: ما هذه الخراطيم التي لا أعرفها؟ فقال فيه أبو نواس:

يَا رَاكِبًا أَقْبَلَ مِنْ تَهْمَدٍ ... كَيْفَ تَرَكْتَ الْإِبِلَ وَالشَّاءَ؟
وَكَيْفَ خَلَقْتَ لَوْىَ قَعْنَبٍ ... حَيْثُ تَرَى الشُّومَ وَالْآءَا
جَاءَ مِنَ الْبَدْوِ أَبُو خَالِدٍ ... وَلَمْ يَزَلْ بِالْمَصْرِ تَنَاءَ
يَعْرِفُ لِلنَّارِ أَبُو خَالِدٍ ... سِوَى اسْمِهَا فِي النَّاسِ أَسْمَاءَ
إِذَا دَعَا الصَّاحِبَ يَهْيَا بِهِ ... وَيُتْبِعُ الْيَهْيَاءَ يَهْيَاءَ
لَوْ كُنْتُ مِنْ فَاكِهَةٍ نُشْتَهَى ... لِطَيْبِهَا كُنْتُ الْعُبَيْرَاءَ
لَا تَعْبُرُ الْحَلْقَ إِلَى دَاخِلٍ ... حَتَّى تَحْسَى فَوْقَهَا الْمَاءَ

وقد سبق أبو نواس أيضاً إلى هذا: حدثني مسبح بن حاتم العكلي قال، حدثني يعقوب بن جعفر قال: أمر

إسماعيل بن علي لحماذ عجردٍ بخمسة آلاف درهم، فمطله بما كاتبه محمد بن نوح، فقال فيه حماد:

قَالَ ابْنُ نُوحٍ لِي وَقَدْ ... أَظْهَرَ بَعْضَ الْعَضْبِ
أَنْتَ الَّذِي نَفَيْتَنِي ... فِي الشَّعْرِ عَنْ نُوحٍ أَبِي؟
فَقُلْتُ: لَا، لَا تَرْمِنِي ... مِنْكَ بِمَخْضِ الْكَذِبِ
وَيَحْكُ لَمْ أَفْعَلْ وَإِنْ ... كُنْتُ سَقِيمَ الْحَسَبِ
لَكُنِّي كُنْتُ فَتَى ... عِلَامَةً بِالنَّسَبِ
فَقُلْتُ لِي: نُوحُ أَبِي، ... فَقُلْتُ: جَاوِزُ بَابِ
فَلَمْ تُجَاوِزْهُ وَفِي ... ذَلِكَ بَعْضُ الرُّيْبِ
فَيَا ابْنَ نُوحٍ، يَا أَخَا آلِ ... حِلْسِ، وَيَا ابْنَ الْقَتَبِ
وَمَنْ نَشَأَ وَاللَّهِ ... بَيْنَ الرُّبِيِّ وَالْكَثْبِ
يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي ... يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي
ولما مات أبو تمام رثاه مخلد بمجاء فقال:

سَقَتْ حَتَارَكَ يَا طَائِيَّ غَادِيَةَ ... مِنَ الْمَنِيِّ وَقُطْعَانَ مِنَ الْكَمَرِ

فَنَوَّءُ جُرْدَانَ أَنَشَهُ لَا أَنَشُكَ بِهَالِي حَتَارَكَ مِنْ نَوْعَيْنِ مِنْ مَطَرِ
حَرُّ الْحَلَاقِ وَبَرْدُ الشَّعْرِ أَثْلَفَهُمْجَاءَهُ الْمَوْتُ مِنْ حَرٍّ وَمِنْ خَصْرِ
وكان أبو تمام لا يجب هاجياً له، لأنه كان لا يراه نظيراً ولا يشتغل به.

حدثني أبو العشائر الأزدي الشاعر قال، حدثني أبي قال: قلت لأبي تمام: ويحك قد فضحنا هذا الموصلني
بهجائك فأجبه، قال: إن جوابي يرفع منه، وأستدر به سبه، وإذا أمسكت عنه سكنت شغشقتته، وما في فضل
مع هذا عن مدح من أجتديه.

وقال فيه مخلد:

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشَّعْرِ وَيَا عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ

أَتَ مِنْ أَشْعَرَ خَلَقِ اللَّهِ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ!

وقد هجا أبا تمام من هو أشعر من مخلد: حدثني محمد بن موسى الهاشمي، وأبو الربيع المنقري قالوا: عزم أبو تمام على الانحدار إلى البصرة والأهواز لمدح من بهما، فبلغ ذلك عبد الصمد بن المعدل فكتب إليه:

أَتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ تَعْدُو مَعَ النَّا ... سِ وَكَلَنَاهُمَا بَوَجْهِ مُدَالِ
لَسْتَ تَنْفَكُ طَالِبًا لَوْصَالِ ... مِنْ حَبِيبٍ أَوْ طَالِبًا لِنَوَالِ
أَيُّ مَاءٍ لِمَاءٍ وَجْهَكَ يَبْقَى ... بَعْدَ ذُلِّ الْهُوَى وَذُلِّ السُّؤَالِ؟
فلما قرأ الشعر قال: قد شغل هذا ما يليه، فلا أرب لنا فيه، وأضرب عن عزمه.

وجدت في كني: وقال الوليد يهجو أبا تمام، وهي قصيدة اخترت منها:

دَعِ الْهَجَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُ ... وَأَقْصِدْ إِلَى الْحَقِّ إِنَّ الْحَقَّ مُتَّسِعٌ
وَأَذْكَرُ حَبِيبَ بَنِ أَوْشُونََا وَدَعْوَتَهُ ... فَإِنَّ طَيِّبًا إِذَا سُبُّوا بِهِ جَزَعُوا
إِنْ يَقْبَلُوكَ أَبَا النَّفْصَانِ يَحْتَقِبُوا عَارًا وَتَخْفِضُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا رَفَعُوا
لَوْ أَنَّ عَبْدَ مَنَافٍ فِي أَرْوَمَتِهِمْ ... تَقْبَلُوكَ لِمَا ضَرُّوا وَلَا نَفَعُوا
وَإِنْ تَهَوَّكَ كَمَا يَنْفُونَ كَلْبَهُمْ ... عَنِ الصِّمِيمِ أَصَابُوا الْحَقَّ وَانْتَفَعُوا
إِنْ يَرَفَعُوا بِكَ خَرْفًا فِي أَدِيمِهِمْ قَالِ الْعِبَادُ جَمِيعًا: بِنَسْمَا رَفَعُوا
مِرْبَاعُ قَوْمِكَ نَاقُوسٌ وَسَمْعَلَةٌ فَادْكَرْ مَرَايِعَهُمْ فِيهَا إِذَا ارْتَبَعُوا
وَلَوْ تَنَاطُ بِطَيِّبِ كُلِّ مُخْرَجِيَةٍ ... لَكُنْتَ آخِرَى لَهُمْ مِنْهَا إِذَا اجْتَمَعُوا
إِنِّي هَجَوْتُكَ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ ... بِأَنَّ شِعْرَكَ قَدْ أَوْدَى بِهِ الْفَرْعُ
إِنَّ الْقُرُومَ إِذَا أَبَدَتْ شَفَاقَهَا لِلْهَيْدَرِ لَمْ يَدُنْ مِنْ أَعْطَانِهَا الْهَيْجُ

ما روي من معائب أبي تمام

حدثني هارون بن عبد الله المهلب قال: سئل دعبل عن أبي تمام قال: ثلث شعره سرقة، وثلثه غث، وثلثه صالح.

وقال محمد بن داود، حدثني ابن أبي خيثمة قال، سمعت دعبل يقول: لم يكن أبو تمام شاعراً، إنما كان خطيباً، وشعره بالكلام أشبه منه بالشعر، قال: وكان يميل عليه، ولم يدخله في كتابه - كتاب الشعراء - .
وحكى أن ابن الأعرابي قال، وقد أنشد شعراً لأبي تمام: إن كان هذا شعراً فما قالتها العربُ باطلٌ!
حدثني محمد بن الحسن اليشكري قال: أنشد أبو حاتم السجستاني شعراً لأبي تمام، فاستحسن بعضه واستقبح بعضاً، وجعل الذي يقرؤه يسأله عن معانيه فلا يعرفها أبو حاتم، فقال: ما أشبه شعر هذا الرجل إلا بنباب مصقلاتٍ خلجانٍ، لها روعة وليس لها مفتش.

حدثني القاسم بن إسماعيل قال: كنا عند التوجي، ف جاء ابن لأبي رهم السدوسي، فأنشده قصيدةً لأبي تمام يمدح بها خالد بن يزيد أولها:

طَلَلُ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا ... وَكَفَى عَلَيَّ رُزْنِي بِذَلِكَ شَهِيدًا

قال: فجعل يضطرب فيها، وكنت عالماً بشعره، فجعلت أقومه، فلما فرغ قال: يا أبا محمد، كيف ترى هذا الشعر؟ فقال: فيه ما أستحسنه، وفيه مالا أعرفه ولم أسمع بمثله، فإما أن يكون هذا الرجل أشعر الناس جميعاً، وإما أن يكون الناس جميعاً أشعر منه!

وحكى عن ابن مهرويه عن أبي هفان قال، قلت لأبي تمام: تعمد إلى درة فتلقيها في بحر خرد، فمن يخرجها غيرك؟

حدثني أبو صالح الكاتب قال، سمعت أبا العنيس يقول، وكان جاراً لي: راسل أبو تمام أم البحري في التزويج بها، فأجابته وقالت له: اجمع الناس للإملاك، فقال: الله أجل من أن يذكر بيننا، ولكن نتماشح ونتسافح، فكان معها بلا نكاح.

وهذا إنما كذبه أبو العنيس، واحتذى به حديثاً حدثه به الكديمي عن الأصمعي قال: جاء أسود وسوداء إلى أبي مهدية فقالا له: قد أردنا التزويج فاخطب لنا، فقال: إن الله أجل من أن يذكر بينكما، فاذهبا فاصطكا لعنكما الله!

وقال قوم: هو حبيب بن تدوس النصراني، فغير فصير أوساً.

حدثنا جماعة من ابن الدقاق قال، قرأنا على أبي تمام أرجوزة أبي نواس التي مدح بها الفضل ابن الربيع: وبلدة فيها زور

فاستحسنها وقال: سأروض نفسي في عمل نحوها، فجعل يخرج إلى الجنية، ويشغل بما يعمله، ويجلس على ماء جار، ثم ينصرف بالعشى، فعمل ذلك ثلاثة أيام، ثم خرق ما عمل وقال: لم أرض ما جاءني.

حدثني أحمد بن سعيد قال، حدثنا محمد بن عمرو قال، قال ابن الخنعمي الشاعر: جن أبو تمام في قوله:

تروح علينا كل يومٍ وتغتدي ... خُطوبٌ يكادُ الدهرُ منهنَّ يُصرعُ

أيصرع الدهر؟ قال: فقلت له: هذا بشار يقول:

وما كنتُ إلا كالزمانِ إذا صحَا ... صحوتُ، وإن ماقَ الزَّمانُ أموقُ

قال: فسكت، قال: فقلت له: وأبوك يقول:

ولئن لي دهرٍي باتباعِ جوده ... فكِدْتُ لَلينِ الدهرِ أنْ أعقدَ الدهرَا

الدهر يعقد؟ قال: فسكت.

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح يهجو أبا تمام:

قد جاءني والمقالُ مختلفٌ ... شعرُ أبي ناقصٍ على بُعْدِهِ

فكانَ كالسَّهمِ صافٍ عن سَدِّ القو ... لِ وَعَن قَصْلِهِ وَعَن أَمْلِهِ

ما رواه أبو تمام

حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال، حدثني أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عتاب قال، حدثني أبو تمام الطائي قال: مر الطرماح بمسجد البصرة، وهو يخطر في مشيته، فقال رجل: من هذا الخطار؟ فقال: أنا الذي أقول:

لقد زادني حُباً لِنَفْسِي أَنِّي ... بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طَاهِرٍ
إذا ما رآني قَطَعَ الطَّرْفَ دُونَهُ ... وَدُونِي فِعْلَ العَارِفِ المِتْجَاهِلِ
ملأتُ عليه الأَرْضَ حتَّى كَانَهَا ... مِنَ الصَّيْقِ فِي عَيْنِيهِ كِفَّةً حَابِلِ

حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال، حدثني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر قال، حدثني أبو تمام حبيب بن أوس الطائي قال، حدثنا العطف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دمشق - وكان فيمن تولى قتل الوليد بن يزيد - قال: إني لفي مجلس يزيد بن الوليد الناقص، إذ حدثه فكذبه، فعلم يزيد أنه قد كذبه، فقال له: يا هذا، إنك تكذبُ نفسك قبل أن تكذبَ جليسيك. قال: فما زلنا نعرف الرجل بعد ذلك بالتوقي.

حدثنا أحمد بن يزيد قال، حدثني أحمد بن أبي طاهر قال، حدثني أبو تمام قال، حدثني شيخ من الحمي قال: كان فينا رجل شريف، فأتلف ماله في الجود، فصار بعد لا يفي، فقيل له: أصرت كذاباً؟ فقال: نصره الصديق أفضت بي إلى الكذب! قال أبو بكر: فنقل هذا ابن أبي طاهر شعراً له، فقال:

قد كنتُ أنجزُ دهرًا ما وَعَدْتُ، إلى ... أن أتلفَ الدهرُ ما جَمَعْتُ من نَشَبِ

فإن أكنُ صِرْتُ في وَعْدِي أخا كذبٍ ... فَتَصْرَةَ الصديقِ أفضتُ بي إلى الكذبِ!

حدثنا أحمد بن يزيد قال، حدثنا ابن أبي طاهر قال، حدثني أبو تمام قال، حدثني كرامة بن أبان العدوي قال، حدثني رجل من عاملة من بني زهدم قال، قال عدي بن الرقاع: ما أسمعت عمر ابن الوليد بن عبد الملك مديحاً قط إلا كدت أسمع حديث نفسه بجبائي؟ قال: فو الله إني بعد هذا الحديث لفي مجلس عمر، إذ دخل عليه عدي، فأنشده شعراً فيه، فدعا مولى له فقال: هات نقيضة هذه القصيدة، فظننت أنه ينشده شعراً، فأتي ببدرية فيها عشرة آلاف درهم فدفعها إليه.

حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال، حدثني أحمد بن أبي طاهر قال، حدثني أبو تمام قال، حدثني أبو عبد الرحمن الأموي قال: وصف ابن لسان الحمرة، وهو ربيعة بن حصن من بني تميم اللات بن ثعلبة، قومًا بالعي فقال: منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل إلى لسانه، ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه، ومنهم من يقتسر الأذان فيحملها إلى الأذهان عباً ثقيلًا.

حدثني أحمد قال، حدثني أحمد قال، حدثني أبو تمام قال: كان يزيد بن الحصين بن تميم السكوني لا يعطي، فإذا أعطى أعطى كثيراً، ويقول: أحب أن تكون مواهي ككتاب كتائب، ولا أحب أن تكون مقانب مقانب. حدثنا أحمد قال: حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو تمام عن رجل من كلب قال: كنت مع يزيد بن حاتم يافريقية، فاعترض دروعاً وبالغ فيها، وكانت جياداً، فقيل له في ذلك، فقال: إنما أشتري أعماراً لا دروعاً!.

حدثني أحمد بن يزيد قال، حدثنا أبي عن عمه حبيب بن المهلب قال: ما رأيت قط رجلاً مستلماً في حربٍ إلا كان عندي بمنزلة رجلين اثنين، ولا رأيت رجلين حاسرين في حربٍ قط إلا كانا عندي بمنزلة رجلٍ واحدٍ.

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو تمام قال، حدثني كرامة قال: قدم رجل من ولد معدان بن عبيد المعني من عند البرامكة، فقلنا له: كيف تركتهم؟ فقال: تركتهم وقد أنست بهم النعمة حتى كأنها بعضهم!

قال أبو تمام، قال كرامة: فحدثت بهذا ثعلبة بن الضحاك العاملي فقال: لقد سمعت من بعض أعرابكم نحواً من هذا: قدم علينا غسان بن عبد الله بن خيرى في عفوان خلافة هشام، فرأى آل خالد القسري، فقال: إني أرى النعمة قد لصقت بمؤلاء القوم حتى كأنها من ثيابهم! قلت: فإن صاحب هذا الكلام ابن عم صاحب هذا الحديث فيما أرى، أما ترى كلامه ابن عم كلامه؟

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو تمام قال، حدثنا كرامة قال: تكلم رجل في مجلس الهيثم بن صالح فهذر ولم يصب، فقال: يا هذا، بكلام أمثالك رزق الصمت الحبة! حدثنا أحمد بن يزيد قال، حدثنا أحمد، قال حدثنا أبو تمام قال، حدثني سلامة بن جابر النهدي قال: سمعت أعرابياً يصف قوماً لبسوا النعمة ثم عروا منها، فقال: ما كانت نعمة آل فلانٍ إلا طيفاً ولى مع انتباههم! حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو تمام عن سلامة بن جابر قال: سأل هشام أسد بن عبد الله القسري عن نصر بن سيار وكان عدوه فقال: ذلك رجل محاسنه أكثر من مساويه، لا يضرب إلا انتصف منها، لا يأتي أمراً يعتذر منه، قسم أخلاقه بين أيام الفضل، فجعل لكل خلق نوبةً، لا يدري أي أحواله أحسن، ما هداه إليه عقله، أو ما كسبه إياه أده! فقال هشام: لقد مدحته على سوء رأيك فيه، فقال: نعم، لأني فيما يسألني أمير المؤمنين عنه كما قال الشاعر:

كفى ثمناً لما أسديت أني ... صدقتك في الصديق وفي عداي
وأنّي حين تندبني لأمرٍ ... يكون هوك أغلب من هوى
قال: ذاك الظن بك.

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو تمام قال، حدثني محمد بن خالد الشيباني قال: قال رجل يوماً لرقبة بن مصقلة العبدي: من أي شيء كثرة شكك؟ قال: من محاماتي عن اليقين! حدثنا أحمد بن يزيد قال، حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال، حدثني أبو تمام قال، حدثني أبو عبد الرحمن الأموي قال: ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس، فقال سليمان: كلا، إن من تكلم فأحسن، قدر على أن يسكت فيحسن؛ وليس كل من سكت فأحسن، قدر أن يتكلم فيحسن. حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال، حدثني أبو تمام قال، حدثني شيخ من بني عدي بن عمرو قال: نزلت عندنا أحوية من طيب، فكنت أتحدث إلى فتى يتحدث إلى ابنة عم له، وهو من أقرح الناس كبدًا، فسار فريقها الأذن إلى الغور، وغبر في أهل بيته، فاشتد جزعه، فقال: يا ابن عم، إن الصبر عن الحبوب أشد من الصبر على المكروه.

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال، حدثني حبيب بن أوس الطائي قال، حدثنا قلابة الجرمي قال: قال يزيد بن المهلب يوماً لجلسائه: أراكم تعفوني في الإقدام! قالوا: نعم، والله إنك لترمي بنفسك في المهالك، فقال: إليكم عني، فو الله لو لم آت الموت مسترسلاً، لأتاني مستعجلاً؛ إني لست آتي الموت من حبه، إنما آتته من بغضه! وقد أحسن الحصين بن الحمام المري حيث يقول:
تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد ... حياةً لنفسي مثل أن أتقدماً

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد عن أبي تمام قال، قال رجل من بني عمرو بن تميم: يزعم الناس أن السيوف مأمورة تقطع وتكهم، والله ما رأيت يزيد بن المهلب قط فبنا سيفه، فقال ثابت قطنة: والله لو لم تكن السيوف مأمورة، لصيرتما يد يزيد مأمورة!

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام قال، حدثني مالك بن دهم عن ابن الكلبي قال: مات ابن لأرطاة بن سهية المري يقال له عمرو - وسهية أم أرطاة وأبوه زفر أحد بني مرة في زمن معاوية - فجزع عليه حتى ذهب عقله أو قارب، فوقف على قبره فقال:

وقفتُ على قبرِ ابنِ سلمى فلم يكنُ ... وفؤفي عليه غيرَ مَبْكِي وَمَجْرَعِ
عن الدهرِ فاصْفَحْ إنه غيرُ مُعْتَبٍ ... وفي غيرِ مَنْ قد وَارَتْ الأرضُ فاطمَعِ
هل أنتَ، ابنِ سلمى إن نظرتُكَ، رَائِحٌ ... معَ القومِ أو غَادٍ غَدَاةً غدٍ معي؟

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو تمام قال: تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التنوخي وحسنه، والصمت ونبله، فقال: ليس النجم كالقمر، إنما تمدح السكوت بالكلام، ولا تمدح الكلام بالسكوت، وما أنبأ عن شيء فهو أكثر منه.

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو تمام قال، حدثني أبو عبد الرحمن الأموي قال: تكلم رجل عند هشام فأحسن، فقال هشام: إن أحسن الحديث ما أحدث بالقلوب عهداً.

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا حبيب بن أوس قال، حدثني عمرو بن هاشم السروي قال: تحدثنا عند محمد بن عمرو الأوزاعي - والأوزاع من حمير - ومعنا أعرابي من بني عليم ابن جناب لا يتكلم، فقلنا له: بحق ما سميتم خرس العرب، ألا تحدث القوم؟ فقال: إن الحظ للمراء في أذنه، وإن الحظ في لسانه لغيره، فقال الأوزاعي: وأبيه لقد أحسن.

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو تمام قال: قال رجل لرجل: ما أحسن حديثك! فقال له: إنما حسنه حسن جوار سمعك.

حدثنا أحمد قال، حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال، حدثني أبو تمام قال، حدثني يحيى بن إسماعيل الأموي قال، حدثني إسماعيل بن عبد الله قال، قال جدي: الصمت منام العقل، والنطق يقظته، ولا منام إلا بيقظة، ولا يقظة إلا بمنام.

صفة أبي تمام وأخبار أهله

حدثني عون بن محمد قال: كان أبو تمام طوالاً، وكانت فيه تمتمة يسيرة، وكان حلو الكلام فصيحاً، كأن لفظه لفظ الأعراب.

حدثني علي بن الحسن الكاتب قال: رأيت أبا تمام وأنا صبي صغير، فكان أسمر طوالاً. حدثني أحمد بن يزيد المهلي قال: كنت جالساً مع ابن عتاب، فمر بنا رجل من الكتاب، فجلس إلينا وكان فصيحاً مليح الحديث، فأطال معنا ثم قام، فقال لي ابن عتاب: ما رأيت رجلاً أشبه لفظاً بأبي تمام من هذا إلا حبسة قليلة كانت في لسان أبي تمام.

حدثني عبد الله بن عبد الله قال: كان لأبي تمامٍ أخ يقال له سهم، وكان يقول الشعر، فمن شعره:
وَنَارَ عُنْتَهُ شَيْئاً إِلَيْهِ مُبْعَضاً ... فلما رأى وَجْدِي بِهِ صارَ يَعْشِقُهُ
فَدَعَهُ وَلَا تَحَزَنَ عَلَيَّ فَائِزٌ بِهِ ... فَإِنَّ جَدِيدَاتِ اللَّيَالِي سَتُخْلِقُهُ
حدثني سوار بن أبي شراعة قال، حدثني البحري قال: كان لأبي تمامٍ أخ يقال له سهم، وكان يقول شعراً
دوناً، فجاء إلى أبي تمام يستميحه فقال له: والله ما يفضل عني شيء، ولكني أحتال لك، فكتب إلى يحيى بن
عبد الله بقصيدةٍ أولها:

إِخْدَى بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ ... بَيْنَ الْكَيْبِ الْقَرْدِ فَلَا مَوَاهِ
فَقَالَ فِيهَا:

سَهْمٌ بِنُ أَوْسٍ فِي ضَمَانِكَ وَاتَّقُ ... أَنْ لَسْتَ بِالنَّاسِي وَلَا بِالسَّاهِي

أَجْرُلُ لَهُ الْحَظَيْنِ مِنْكَ وَكُنْ لَهُ ... رُكْنَا عَلَى الْإِيَّامِ لَيْسَ بِوَاهِي
بِوَلَايَتَيْنِ وَوَلَايَةٍ مَشْهُورَةٍ ... فِي كُورَةٍ وَوَلَايَةٍ بِالْجَاهِ
هُوَ فِي الْعِنَى عَرْسِي، وَعَرْسُكَ فِي الْعَلَا ... أَنِّي أُرِدْتُ، وَأَنْتَ عَرْسُ اللَّهِ
حدثني أحمد بن إسماعيل قال، حدثني أبو سهل الرازي قال: لما ولي محمد بن طاهر خراسان، دخل الناس
لتهنئته، فكان فيهم تمام بن أبي تمام الطائي فأنشده:

هَتَاكَ رَبُّ النَّاسِ هَتَاكَ ... مَا مِنْ جَزِيلِ الْمُلْكِ أَعْطَاكَ
قَرَّتْ بِمَا أُعْطِيَتْ يَا ذَا الْحِجِّي ... وَالْبَاسِ وَالْإِنْعَامِ عَيْنَاكَ
أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِمَا نَلْتُهُ ... وَأَوْرَقَ الْعُودُ لِحُجْرَاكَ

فاستضعفت الجماعة شعره وقالوا: يا بعد ما بينه وبين أبيه! فقال محمد لعبد الله بن إسحاق، وكان يعرفه
الناس وهو على أمره: قل لبعض شعرائنا: أجبه، فغمز رجلاً في المجلس، فأقبل على تمام فقال:

حَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ حَيَّاكَ ... إِنَّ الَّذِي أَمَلْتَ أَخْطَاكَ
مَدَحْتَ خِرْقاً مِنْهُباً مَالَهُ ... وَلَوْ رَأَى مَدْحاً لَوَاسَاكَ
فَهَاكَ إِنَّ شَيْئاً بِهَا مَدْحَةٌ ... مِثْلَ الَّذِي أُعْطِيَتْ أَعْطَاكَ

فقال تمام: أعز الله الأمير، إن الشعر بالشعر ربا، فاجعل بينهما رضخاً من دراهم حتى يحل لي ولك! فضحك
محمد وقال: إن لم يكن معه شعر أبيه، فمعه ظرف أبيه، أعطوه ثلاثة آلاف درهم، فقال عبد الله بن إسحاق:

ولقول أبيه في الأمير عبد الله بن طاهر:

أَمْطَلِعَ الشَّمْسِ تَنْوِي أَنْ تَوُمَّ بِنَا؟ ... فَقُلْتُ: كَلَّا، وَلَكِنْ مَطْلِعَ الْجُودِ
ثَلَاثَ آلَافٍ أُخْرَى، قَالَ: وَيُعْطِي ذَلِكَ.

أخبار لأبي تمام متفرقة

حدثني أبو جعفر أحمد بن يزيد المهلبي قال، حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه - وكان ابن مهرويه هذا يسمع معنا من المغيرة بن محمد المهلبي وغيره بالبصرة، ولم أسمع منه شيئاً عن الحمدي - قال: سمعت أبا تمام يقول: أنا كقولي:

نَقَلُ فُوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى ... مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى ... وَحَيْنُهُ أَوَّلُ مَنْزِلِ
وحكى محمد بن داود هذا الشعر في كتابه وقال: أخذه من قول ابن الطرية:
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِغًا فَتَمَكَّنَا
وهو عندي بقول كثير أشبهه، ومنه أخذه:

إِذَا وَصَلْنَا خُلَّةً لِنُزِيلِهَا ... أَيْبِنَا وَقُلْنَا: الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ
وهو يتعلق أيضاً بما قاله من جهة: حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال، حدثنا أبي قال: أنشدت يوماً لجرير:
وَمَا زَالَ مَعْقُولًا عَقَالٌ عَنِ النَّدَى ... وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسُ
حكى محمد بن داود أن أبا عبد الله أحمد بن محمد الخنعمي الكوفي قال لأبي تمام وقد اجتمعوا فقام أبو تمام إلى الخلاء: أتدخلك؟ فقال: نعم، لا نملك.

حدثني أحمد بن موسى قال: أخبرني أبو الغمر الأنصاري عن عمرو بن أبي قطيفة قال: رأيت أبا تمام في النوم فقلت له: لم ابتدأت بقولك:

كَذَا فَايْجَلُ الْخَطْبُ وَيَفْدَحُ الْأَمْرُ
فقال لي: ترك الناس بيتاً قبل هذا، إنما قلت:
حَرَامٌ لَعِينٍ أَنْ تَجِفَّ لَهَا شُفْرُ وَأَنْ تَطْعَمَ التَّغْمِضُ مَا أَمْتَعَ الدَّهْرُ
كذا فليجل...

حدثني علي بن الحسن الكاتب قال: الذي يقول فيه أبو تمام:
يَاسْمِي النَّبِيِّ فِي سُورَةِ الْجَنِّ ... وَيَا ثَانِي الْعَزِيزِ بِمَصْرٍ

هو عبد الله بن يزيد بن المهلب الطرهباني، من أهل الأنبار، كاتب أبي سعيد الثغري، ثم كتب بعده لابنه يوسف.

حدثني ابن المتوكل القنطري قال: دخل أبو تمام إلى نصر بن منصور، فأنشده مدحاً له، فلما بلغ إلى قوله:
أَسَائِلَ نَصْرٍ، لَا تَسَلَّهُ، فَإِنَّهُ ... أَحَنُّ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ

قال له نصر: أنا والله أغار على مدحك أن تضعه في غير موضعه، ولئن بقيت لأحظرن ذلك إلا على أهله، وأمر له بجائزة سنوية وكسوة. قال: فمات نصر بعد ذلك في شوال سبع وعشرين ومائتين.

حدثنا أحمد بن إسماعيل قال، حدثني من سأل أبا تمام عن قوله:
غُرْبَةٌ تَقْتَنَدِي بِغُرْبَةِ قَيْسِ بَ ... نِ زُهَيْرٍ وَالْحَارِثِ بْنِ مُضَاضٍ

فقال: أما غربة قيس بن زهير العبسي فمشهورة، وهذا الحارث بن مضاض الجرهمي زوج سيدة من إسماعيل

بن إبراهيم، ثم تحدث بحديث طويل، قد ذكرناه في شعره عند هذا البيت.
حدثني محمد بن البربري قال، حدثني الحسن بن وهب قال: قلت لأبي تمام: أفهم المعتصم بالله من شعرك شيئاً؟ قال: استعادي ثلاث مرات:

وَإِنَّ أَسْمَجَ مَنْ تَشْكُو إِلَيْهِ هَوَى ... مَنْ كَانَ أَحْسَنَ شَيْءٍ عِنْدَهُ الْعَدْلُ
واستحسنه، ثم قال لابن أبي دؤاد: يا أبا عبد الله، الطائي بالبصريين أشبه منه بالشاميين.
حدثنا أبو عبد الله الألويسي قال، أخبرني أبو محمد الخراعي المكي صاحب - كتاب مكة - عن الأزرقي قال: بلغ دعبلأ أن أبا تمام هجاه عندما قال قصيدته التي رد فيها على الكميت وهي:

أَفِيقِي مِنْ مَلَامِكِ يَا ظَعِينَا ... كَفَاكَ اللَّوْمُ مَرُّ الْأَرْبَعِينَا
فقال أبو تمام:

نَقَضْنَا لِلْحَطِيبَةِ أَلْفَ بَيْتٍ ... كَذَاكَ الْحَيُّ يَغْلِبُ أَلْفَ مَيْتٍ
وَذَلِكَ دِعْبَلٌ يَرْجُو سَفَاهَا ... وَحَقًّا أَنْ يَنَالَ مَدَى الْكُمَيْتِ
إِذَا مَا الْحَيُّ نَاقَضَ جِذْمَ قَبْرِ ... فَذَلِكُمْ ابْنُ زَانِيَةٍ بَزَيْتِ
وأن دعبلأ قال لما بلغته هذه الأبيات:

يَا عَجَبًا مِنْ شَاعِرٍ مُفْلِقٍ ... أَبَاؤُهُ فِي طَيْبٍ تَشْمِي
أُنْبِتُهُ يَشْتِمُ مِنْ جَهْلِهِ ... أُمِّي، وَمَا أَصْبَحَ مِنْ هَمِي
فَقُلْتُ: لَكِنْ حَبْدًا أُمَّهُ ... طَاهِرَةٌ زَاكِيَةٌ عَلْمِي
أَكْذِبُ وَاللَّهِ عَلَى أُمَّهِ ... كَكَذِبِهِ أَيْضًا عَلَى أُمِّي!

وقد رويت هذه الأبيات التائية لأبي سعد المخرومي، ورويت الأبيات الميمية لغير دعبلأ في أبي تمام.
وزعم ابن داود أن محمد بن الحسين حدثه قال: زار الحسن بن وهب وأبو تمام، أبا نمشل بن حميد، فقال أبو تمام وقد جلسوا:

أَعْصَكَ اللَّهُ أبا نَهْشَلِ

ثم قال للحسن: أجز، فقال:

بِخَدِّ رَيْمٍ شَادِنٍ أَكْحَلِ

ثم قال لأبي نمشل: أجز، فقال:

يُطْمِعُ فِي الْوَصْلِ فَإِنْ رُمْتَهُ ... صَارَ مَعَ الْعَيُّوقِ فِي مَنْزَلِ

حدثنا ميمون بن هرون قال، حدثني صالح غلام أبي تمام قال: غضب على أبو تمام فكتبت إليه بهذا الشعر، وهو أول شعر قلته قط:

إِذَا عَاقَبْتَنِي فِي كُلِّ ذَنْبٍ ... فَمَا فَضْلُ الْكَرِيمِ عَلَى اللَّئِيمِ؟

فَإِنْ تَكُنِ الْحَوَادِثُ حَرَّكَتَنِي ... فَإِنَّ الصَّبْرَ يَعْصِفُ بِالْهُمُومِ

فجاءني إلى الموضوع الذي كنت فيه فترضاني.

وجدت بخط عبد الله بن المعتز: صار أبو تمام إلى أحمد بن الخصيب في حاجة له أيام الواثق، فأجلسه إلى أن

أصابته الشمس، فقال:

تَعَاوَلْنَا عَنَّا أَحْمَدُ مُتَنَاسِيًا ... ذِمَامَ عُهُودِ الْمَدْحِ وَالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
نَمُوتُ مِنَ الْحَرِّ الْمَبْرَحِ عِنْدَهُ ... وَحَاجَاتُنَا قَدْ مِتْنَ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ!

حدثني أبو ذكوان قال، حدثني عمك أحمد بن عبد الله طماس قال: كنت عند عمي إبراهيم بن العباس،
فدخل عليه رجل فرفعه حتى جلس إلى جانبه أو قريباً، ثم حادثه إلى أن قال له: يا أبا تمام، ومن بقي ممن
يعتصم به ويلجأ إليه؟ فقال: أنت فلا علمت، قال: وكان إبراهيم تاماً فأنشده:

يَمْدُ نَجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَانَهُ ... بِأَعْلَى سَنَامِي فَالِحٍ يَنْطَوِّحُ
وَيُدَلِّجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ ... وَيُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
إِذَا عَتَمَ بِالْبُرْدِ الْيَمَانِيَّ خَلَتْهَا لَهْلَاءُ بَدَا فِي جَانِبِ الْأُفْقِ يَلْمَحُ

يَرِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً ... وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ
فقال له: أنت تحسن قانلاً وراوياً ومتمثلاً، فلما خرج تبعته، فقلت: أمل على هذه الأبيات، فقال: هي لأبي
الجويرية العبدي يقولها للجنيد بن عبد الرحمن فأخرجتها من شعره.

وفاة أبي تمام

ومبلغ سنه

حدثني محمد بن خلف قال، حدثني هرون بن محمد بن عبد الملك قال: لما مات أبو تمام قال الواثق لأبي: قد
غمني موت الطائي الشاعر، فقال: طيى بأجمعها فداء أمير المؤمنين والناس طراً؛ ولو جاز أن يتأخر ميت عن
أجله، ثم سمع هذا من أمير المؤمنين لما مات!

حدثني محمد بن موسى قال: عني الحسن بن وهب بأبي تمام، وكان يكتب لحمد بن عبد الملك الزيات، فولاه
بريد الموصل فأقام بها سنة، ومات في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائتين، ودفن بالموصل.

حدثني عون بن محمد الكندي قال: قرأت على أبي تمام شيئاً من شعره في سنة سبع وعشرين ومائتين، وسمعتة
يقول: مولدي سنة تسعين ومائة. قال: وأخبرني مخلد الموصلية أن أبا تمام مات بالموصل، في الحرم سنة اثنتين
وثلاثين ومائتين.

حدثني أبو سليمان النابلسي قال، قال تمام بن أبي تمام: مولد أبي سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، ومات في سنة
إحدى وثلاثين ومائتين.

مراثي أبي تمام

أنشدني أبو الغوث لأبيه، يرثي أبا تمام ودعبلاً:

قَدْ زَادَ فِي كَلْفِي وَأَوْقَدَ لَوْعَتِي ... مَتَوَى حَبِيبَ يَوْمِ مَاتَ وَدَعِبَلِ
وَبَقَاءَ ضَرْبِ الْحَتَمِيِّ وَشِبْهِهِ ... مِنْ كُلِّ مُضْطَرَبِ الْقَرِيحَةِ مُهْمِلِ

أَهْلُ الْمَعَانِي الْمَسْتَحِيلَةِ إِنَّهُمْ ... طَلَبُوا الْبِدَاعَةَ وَالْكَلامِ الْمُغْضِلِ
أَخْوَى، لَا تَزَلِ السَّمَاءُ مُخِيلَةً ... تَغْشَاكُمْ بِحَيَا مُقِيمِ مُسْبِلِ
جَدَّتْ عَلَيَّ الْأَهْوَاذُ يَبْعُدُ ذُونَهُ ... مَسْرَى التَّعْيِ وَرَمَّةُ بِالْمَوْصِلِ
ورثاه الحسن بن وهب فقال:

سَقَتْ بِالْمَوْصِلِ الْقَبْرَ الْغَرِيْبَا ... سَحَابٌ يَنْتَجِنَ لَهُ نَحِيْبَا
إِذَا أَطْلَعْنَهُ أَطْلَقْنَ فِيهِ ... شَعِيْبَ الْمُرْنِ مُنْبَعِقًا شَعِيْبَا
وَلَطَمَتِ الْبُرُوقُ لَهَا خُدُودًا ... وَشَقَّقَتِ الرُّعُودُ لَهَا جُيُوبَا
فَإِنَّ ثَرَابَ ذَلِكَ الْقَبْرِ يَحْوِي ... حَبِيْبًا كَانَ يُدْعَى لِي حَبِيْبَا
ظَرِيْفًا شَاعِرًا فَطِنًا لَبِيْبًا ... أَصِيْلَ الرَّأْيِ فِي الْجَلِيْ أَرِيْبَا
إِذَا شَاهَدْتَهُ رَوَّكَ مِمَّا ... يَسْرُكُ رِقَّةً مِنْهُ وَطِيْبَا
أَبَا تَمَّامِ الطَّائِي، إِنَّا ... لَقَيْنَا بَعْدَكَ الْعَجَبَ الْعَجِيْبَا
فَقَدْنَا مِنْكَ عِلْقًا لَا تَرَانَا ... نُصِيبُ لَهُ مَدَى الدُّنْيَا ضَرِيْبَا
وَكَنتَ أَحَا لَنَا تُدْنِي إِلَيْنَا ... صَمِيْمُ الْوُدِّ وَالنَّسَبِ الْقَرِيْبَا
وَكَانَتْ مَدْحِجٌ تُطَوِي عَلَيْنَا ... جَمِيْعًا ثُمَّ تَنْشُرُنَا شُعُوبَا
فَلَمَّا بَنَتْ نَكَرَتْ اللَّيَالِي ... قَرِيْبَ الدَّارِ وَالْأَقْصَى الْغَرِيْبَا
وَأَبْدِي الدَّهْرُ أَفْحَحَ صَفْحَتِيْهَ ... وَوَجْهًا كَالِحًا جَهْمًا قَطُوبَا
فَأَحْرَبْنَا بِأَنْ يَطِيْبَ الْمَوْتُ فِيهِ ... وَأَحْرَبَ بَعِيْشَةَ إِلَّا تَطِيْبَا
وقال علي بن الجهم يرثيه:

غَاصَتْ بِدَائِعِ فِطْنَةِ الْأَوْهَامِ ... وَعَدَتْ عَلَيْهَا نَكْبَةُ الْأَيَّامِ
وَعَدَا الْقَرِيْبُ ضَمِيْلَ شَخْصٍ بَاكِِيَا ... يَشْكُو رَزِيْتَهُ إِلَى الْأَقْلَامِ
وَتَأَوَّهَتْ غُرُرُ الْقَوَائِي بَعْلُهُ ... وَرَمَى الزَّمَانَ صَحِيْحَهَا بِسَقَامِ
أَوْدَى مُتَّقِفَهَا وَرَأَيْضُ صَعْبَهَا ... وَغَدِيرُ رَوْضَتِهَا أَبُو تَمَّامِ

وأنشدني أبو جعفر المهلبي، وأبو محمد الهدادي، لأحمد بن يحيى البلاذري، يرثي أبا تمام، ويهجو أبا مسلم بن حميد الطوسي:

أَمْسَى حَبِيْبٌ رَهْنٌ قَبْرِ مُوحِشٍ ... لَمْ تُدْفَعِ الْأَقْدَارُ عَنْهُ بِأَيْدِ
لَمْ يُنْجِهْ لَمَّا تَنَاهَى عُمُرُهُ ... وَكَمْ يَسْلَمُ بِقُوَّةِ كَيْدِ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَنَالَكَ رَحْمَةٌ ... لَكِنْ أَخَافُ قَرَابَةَ ابْنِ حُمَيْدِ!
وقال فيه الحسن بن وهب أيضًا:

فُجِعَ الْقَرِيْبُ بِجَاتِمِ الشُّعْرَاءِ ... وَغَدِيرِ رَوْضَتِهَا حَبِيْبِ الطَّائِي
مَاتَا مَعًا فَتَجَاوَرَا فِي حُفْرَةٍ ... وَكَذَلِكَ كَانَا قَبْلُ فِي الْأَحْيَاءِ

وقال محمد بن عبد الملك يرثيه وهو وزير:
نَبَأٌ أَتَى مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْبَاءِ ... لَمَّا أَلَمَّ مُتَقَلِّبُ الْأَحْشَاءِ
قَالُوا: حَبِيبٌ قَدْ ثَوَى، فَأَجَبْتُهُمْ: ... نَاشِدْتُكُمْ لَا تَجْعَلُوهُ الطَّائِي
وقال أيضاً:

أَلَا لِلَّهِ مَا جَنَّتِ الْخُطُوبُ ... تُخْرِمُ مِنْ أَحَبَّتِنَا حَبِيبُ
فَمَاتَ الشَّعْرُ مِنْ بَعْدِ ابْنِ أَوْسٍ ... فَلَا أَدَبٌ يُحَسُّ وَلَا أَدِيبُ
وَكُنْتَ ضَرِيبَ وَحْدِكَ يَا ابْنَ أَوْسٍ ... وَهَذَا النَّاسُ أَخْلَاقُ ضُرُوبُ
لِنَنْ قَطَعْتِكَ قَاطِعَةَ الْمَنَايَا ... لَمِنْكَ وَفِيكَ قَطَعْتَ الْقُلُوبُ
وقال عبد الله بن أبي الشيص:

أَصْبَحَ فِي صَنْكَ مِنَ الْأَرْضِ ... أَكْثَرُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَرْضِ
مَنْ عَرَضُ ذِكْرَاهُ وَمَنْ طُوهُمَا ... كَالْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
أَكْرَمُ بِمَلْحُودٍ يُدَايِي إِلَى ... وَجْهَكَ يَا ابْنَ الْكِرْمِ الْخَضِ
مَا فِي حَبِيبِ لِي، ابْنَ أَوْسٍ، أُسَى ... يَجْمَعُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْغُمُضِ
حَارَ دَوُوَ الْأَدَابِ إِذْ فُوجُوا ... مِنْهُ يَوْمٌ غَيْرِ مُيَاضٍ
طَوْدٌ مِنَ الشَّعْرِ دَعَا بَعْضُهُ ... بَعْضًا، فَهَذَا الْبَعْضُ بِالْبَعْضِ
بَحْرٌ مِنَ الشَّعْرِ لَهُ جَائِشٌ ... مُلْتَطِمٌ بِاللُّؤْلُؤِ الْبَضِّ
كَأَمَّا الشَّعْرُ شِعَارٌ لَهُ ... أَوْ وَرَقٌ فِي غُصْنٍ غَضِّ
لَمَّا أَتَمَّ اللَّهُ فِيكَ الَّذِي ... أَمَلْتَ مِنْ بَسْطٍ وَمَنْ قَبْضِ
رَمَاكَ رَامٍ لِلْمَنَايَا وَمَا ... آذَنَ عِنْدَ الرَّمِيِّ بِالْتَبْضِ
لَوْ كَانَ لِلشَّعْرِ عَيْونٌ بَكَتْ ... لِكَوْكَبِ لِلشَّعْرِ مُنْقَضِ
وقال، ووجدته بخط ابن مهوريه:

يا حُفْرَةَ الطَّائِي، أَيَّ امْرِئٍ
شِعَارُهُ أَنْتَ وَلَمْ تَشْعُرِي
كَمْ بَيْنَ أَثْنَاتِكَ مِنْ حِكْمَةٍ